جامعـــــــــة أبـوبكر بلقايـــــــد –تلمســان–

كليـــــة الآداب واللغـــــات

قســم: اللّـغة والأدب العربــي

مذكـــرة لنيل شهـــادة المــاستر

تخصص: نقد الحديث ومعاصر

دلالة الأبعاد الجماليـة للمكان في شعر ابن خفاجة

من اعداد الطـالبة:

حاكم أمينة

تحت اشراف الأستاذ:

د. فارسي حسين

لجنة المناقشة:

اللقب و الاسم	الصفة
د. مولاي البودخيلي سيدي عبد الرحيم	رئيسا
أ.د فارسي حسين	مشرفا
د. بن سنوسي هشام	مناقشا

السنة الجامعيـــة :2020/2019

اهداء

الحمد لله الذي أعاننا، ويسّر لنـــا أمرنا ونـــوّر لنا دربنا في إتمام مبتغانا

و أفضل الصلاة و السلام على أ زكى نسب و أعلى حسب سيدنا محمد صـــلى الله عليه و ســـلّم ، في مثل هذه اللّحظات يتوقف المرء يفكر قبل أن يخط كلمات لن يبقى منها إلا ذكريات هذا العمل، الذي أهديه الى الذي كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة الى من حصد الأشواك عن د ربي ليمهد لي طريق العلم ، إلى الذّي مازالت ضحكاته و ملامحه النظرة في أ رجاء مخيلتي الى " روح أبـــــي الطيبة".

إلى التي أعيش من أجلها، ينبوع الحنان و بلسم الشفاء نور عيني "أمي الغالية"

الى أصحـــــاب القلوب الطيبـــة و الـــنوايا الصادقة "اخوتي الأعـــزاء"

الى وجـــوه البـــراءة بهم أزهرت أيـــــــامي " أنس، أيوب، أيمن" .

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر الجزيل الى صاحب التميز، والأفكـــــار النيرة

الأستاذ الفاضل فارسي حسين وبمعيته الأستاذ فارسي عبد الرحمن

على حسن توجيههما واثرائهما هذا الموضوع، وارشاداتهما القيمة، ومراجعتهما العمل رغم التزاماتهما وانشغالاتهما.

كما أشكر لجنة المناقشة الذين شرّفوني بحضورهم في هذا اليوم المتميز

وكل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد سواء كان ماديا أو معنويا.

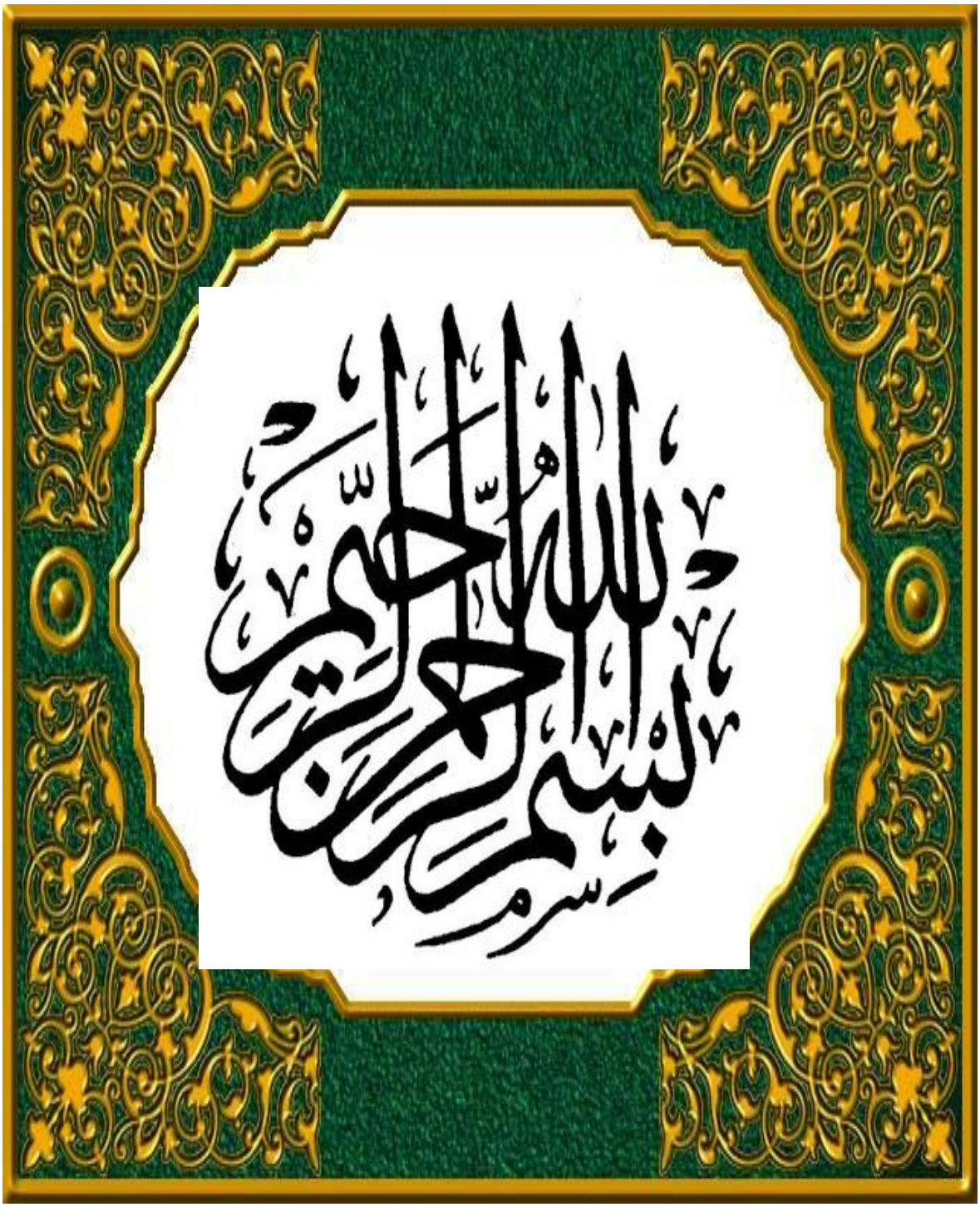
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــة

مقـــــدمـــــــــــة:

يحتل المكان مساحة كبيرة في حياة الإنسان، فهو يختزن في ذاكرته أشياء كثيرة من الشحنات العاطفية التي تصاحبه، والذكريات الجميلة، و السيئة كيف لا و هو المكان الذي نشأ فيه و تربى في ربوعه و تعلق به وجدانيا و فكريا، فالإنسان ابن بيئته يؤثر و يتأثر، فهو يبدأ في رحم الأم بيولوجيا وينتهي في قبر يحصد حصيلة العمر، ولذا فإنه لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان.

و لقد فطن النقد الحديث لمثل هذه العلاقات، و أصبغ عليها مسحة المؤثر الذي يعمل فيها عمله الخفي و المعلل، وكل ملامسة للمكان إنما هي ملامسة لشبكة العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي ارتباط و جود ، و انتماء و هوية حتى أصبح يحسه و يستشعره بقلبه و مشاعره، فهو مسرح حدوث الأفعال سواءا بالنفور او بالمحبة و الارتباط، و لو تتبعنا أهمية المكان منذ القديم لوجدنا أنه قد شغل في المكان العربي مساحة شاسعة من التمظهر في كافة الأجناس و الأنواع الأدبية، بدءا بالوقوف على الاطلال في العصر الجاهلي ، وصولا إلى محاكاة تلك المقدمات الطلية في العصر الحديث، و هذا دليل كاف على أنه لديه خصوصية عند الشاعر، وهو المدخل الأكثر قربا الذي يؤسس عليه المبدع رؤيته الفنية بطابعها الإنساني، فمنه تنبثق و تتنامى الرؤية لتكون مشهدا حيا في كثير من الأحيان ليأخذ أبعادا تخيلية حين يعمد المبدع على دمجه بعالم إنساني متخيل لينتج لنا صورة تتمثل فيها الصلة الحميمية بين الذات و المكان ، فهو ملهم و باعث لكافة أشكال و تمظهرات وأبعاد الأفكار.

و لما كان المكان ذا أهمية كبرى في بنية الشـــعر الحديث، فقد جاءت دراســـتي في هذا الموضوع عند الشاعر ابن خفاجة الأندلسي.

أهداف الدراسة: تهدف دراسة هذا الموضوع الى:

- إبراز أهمية المكان وجماليته في شعر ابن خفاجة من خلال تقديم مفهوم شامل له
- معرفة الآليـــــات، والأبعاد الجماليـــة للمكان في الشعر الأندلسي.
- الكشف عن الجانب الجمالي لقصائد ابن خفاجة التي تغنت بالمكان.
- إبـــراز علاقة المكـــــان الطبيعي بالحـــالة النفسيـــــة للشاعر.

أهمية الدراسـة: لقد كان لدراسـة موضـوع **"دلالة الأبعاد الجمالية للمكان في شـعر ابن خفاجة"** أهمية بالغة وذلك من خلال إبراز الدور الكبير الذي يلعبه المكان كونه عنصـــر إلهام شـــعراء الأندلس من أبرز هم ابن خفاجة الذي برع في وصـــف الطبيعة وتغنى بالأماكن البديعة لاسيما الحدائق ، والأنهار و حتى التضاريس(الجبل) ، فوصف المكان كان لإبن خفاجة بمثابة المفتاح الذي مكنه للولوج الى عالم الشعر و الشعراء.

ولدراسـة موضـوعنا هذا إنطلقنا من الإشـكالية التالية: **إلى أي مدى ارتبط شـعر ابن خفاجة بوصـف جمالية المكان؟** وتتفرع عن هذه الإشـكالية مجموعة من التسـاؤلات نوجزها فيمايلي:-ما هو المكان ؟

- ماهي الأبعاد والدلالات الجمالية للمكان؟
- كيف وظف ابن خفاجة عنصر المكان في شعره؟ وماهي أبرز قصائده التي تغنى به فيها؟

مبررات اختيار الموضـــوع : هناك مجموعة من الأســباب التي دفعتني الى اختيار هذا الموضوع يمكن أن أوجزها الى أسباب ذاتية ، و أخرى موضوعية :

أ) **مبررات ذاتية:** تتمثل فيما يلي – الرغبة في تقديم بحث علمي أدبي مميز يركز على شعر ابن خفاجة الذي عمل على استحضار المكان في جل قصائده، و الذي يمكن من خلاله ابراز جملة من الأحاسيس المتناقضة لذات الشاعر.

- تنمية رصيدي الأدبي من خلال الاضطلاع على أبرز مميزات الشعر الأندلسي.

ب)**مبررات موضـــوعية:** نقص الأبحاث العلمية المتعلقة بهذا الموضـــوع ذلك أن معظم الباحثين ركزوا اهتمامهم على شعراء اخرين .

منهجية الدراسة:

بالنظر الى الطبيعة الأدبية للموضوع فمن أبرز المناهج العلمية المعتمدة في بحثنا المنهج التاريخي، المنهج الوصـــفي الذي اعتمده ابن خفاجة في شـــعره ضـــف الى ذلك المنهج التحليلي الذي استعنا به لإستقراء و تحليل قصائد ابن خفاجة (قصيدة الجبل)

وكان لي أن قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، مدخل، ثلاثة فصول وخاتمة.

تطرقت في المدخل إلى حياة ابن خفاجة الشـــخصـــية والثقافية، أما في الفصـــل الأول فكـان بعنوان ماهية المكـان وفلسفته في الشعر الأندلسي، والفصل الثاني تطرقت فيه إلى تجليات المكان البعد والدلالة، والفصل الثالث: آليـــــــات توظيف المكان في شعر ابن خفاجة قسمته إلى مبحثين الأول: جماليات المكان الطبيعي والمبحث الثاني، تطرقت

لقصيـــــــــدة الجبـــــــــل كنموذج أما الخاتمة فتضمنت أهم النتائج المستخلصة ، وقد اعتمدت في جمع المعلومات على جملة من المصادر و المراجع أبرزها :

– غاستون باشلار: جماليات المكان ترجمة غالب هالسا ، المؤسسة الجامعية للنشر بيروت لبنان.

حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية دراسة.

خرفي محمد صالح: جماليـــــــات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، الجزائر.

صعوبات الدراســة:

من المعلوم أن أي بحث لايخلو من وجود صـــعوبات التي يمكن أن أرجعها إلى غياب المراجع التي تهتم بدراســـة حياة الشـــاعر ابن خفاجة وكذا قصـــائده ،فهو من الدراســـات المحدودة التي لم تحظى باهتمام كبير من قبل الباحثين، أو أنها تركز على جزء محدود من المكان مما دفعني الى البحث عن مراجع أخرى مكملة لبحثي ، ضـــف الى ذلك ندرة الكتب خاصـــة في ظل جائحة كورونا كوفيد –19، التي تطلبت مني جهدا كبيرا في اســتقصــاء المصــادر كونها منعتني من الذهاب إلى المكتبة لجلب مراجع الأمر الذي أدى بي إلى الاســـتعانة بالكتب الإلكترونية، و المقالات وكيفية الاســـتخلاص وتركيب الأفكــار.

المدخـــــــل

☜المدخــل: ابن خفاجــة حياتـــــــه وشعــره :

ابن خفاجة هو أبو إســـحاق إبراهيم ابن أبي الفتح بن عبد الله ابن خفاجة الأندلســي من كبار شــعراء العرب عامة ، و الأندلس خاصــة ، و الشــاعر الأكثر في وصف الطبيعة في شعره ونثره. مما جعله متفوقا من بين أقرانه من الشعراء، ذكره ابن بسام فيٌ الذخيرة وأثنى عليه وقال: كان مقيما شـــرق الأندلس ولم يتعرض لاســـتماته ملوك طوائفها مع تهافتهم على أهل الأدب، وله ديوان أحسن فيه كل الإحسان.

ولد أبو إسحاق بجزيرة شقر من بلاد الأندلس في سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي بها سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة، لأربع يقين من شوال يوم الأحد وشقر بضم –الشين والمثلثة وسـكون القاف و الراء المهملة –وهي بليدة بين شـاطبة وبلنسـية، وانما قيل لها جزيرة لأن الماء محيط بها، وبلنسية بفتح الباء موحدة وفتح اللام و السكون النون وكسر السيـــن المهملة وفتح اليـــاء [1] ،عرف بالتأنق في مظهره و مطعمه ، ولم يتزوج قط ،و كان نزيه النفس لم يتكسب بشعره .

وإذا كان لموطن الولادة، و النشأة تأثير في تكوين الشخصية، و لاسيما الجانب الذهني منها، فليس لنا أن ننكر أثر شـــقر مســـقط رأس ابن خفاجة في نزعته الأدبية وخياله الشعري بخاصة، فقد كانت بما وصفها ياقوت (**أنزه بـــــلاد الله ،و أكثـــرها روضــة ،و شجرا ،وماءا**).[2]

[1]- ديوان ابن خفاجة لابن خفاجة دار صادر ،بيروت ط1، 2006 ص05.
[2] - المرجع نفسه ص 6

وذكرها ابن عائشة الأندلسي فقال:

أَلاَ خَليَانِـي وَالصِبَـا وَ القَوَافيــَـا أُرَدِدُهَا شَجْـوًا فَأَجْهَشُ بَاكِيـَـا

وقَدْ بـَانَ حُلْوُ العيــشِ إلاَ تَعلـة يُحدِّثُنِي عَنهَا الأمَـانيَ خَالِيــَـا

فَيـاَ بَرْدُ ذاَكَ المَاء هَلْ مِنْكَ قَطْـرةٌ فِيهَا أناَ اَسْتقي غِمَامكَ صَاديــَـا

وهَيْهَاتَ حَالتْ دُونَ شَقْرَ وَعَهْدِهَا لَيَالٍ وَأَيــَـامً تَنْحـَالُ ليـَاليـَـا

فَيَاَ راكبـَا مُسْتَعْمِلَ الخُطْوَ قَاصِداً أَلَا عَجَ بِشَقْرٍ رَائِحـًا وَ مُغَاديـَـا

وقَفَ حَيثُ سَالَ النَهْرَ ينَابُ أَرْقَمًا وَهَبَ نَسيــِمَ الإِيكِ يَنْفُثُ رَاقِيـَا

كَــأنَ بُلْنُسِيــَـــةَ كَاعِـــــــــبٌ وَملْبسُهــَا السُنــْدُسُ الأَخْضَـــرُ

أَوْ قَوْلهُ : بُلْنُسِيـــــــــةَ جَنـَةُ عَاليـَةُ ظـِــــلالُ القُطـُــــوفِ بِهاَ دَانِيـَــةُ

عُيُــونُ الرَحِيـــــــــقِ مَعَ السَلْسَبِيلِ وَعَيـْــنُ الْحَيـَـاةِ بِهـَــا جـَـارِيـــَـةُ [1]

هذه الملامس من الجمال في طبيعة الأرض ، والنشأة الأولى التي نشأ بها ابن خفاجة تستطيع أن تطالع سطورها وصفحاتها في شعره الوصفي، وهو أوسع فضول سفره الشعري و أبوابه ،ثم انتقل إلى ميدان أكثر عمقا ،و انفتاحا حين تَغنى بالأندلس فقال:

إنَ للجنـــــةِ بـِالْأنْـــدَلـُسِ مُجْتَلـَــى حُسـْــنٍ وَرِيـَا نَفـْــسٍ

وَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِيـــــحُ صَبـَـا صِحْتُ وَشَوْقِـــي إِلىَ الأَنـْدَلُسِ [2]

عاش ابن خفاجة فترة زمنية طويلة بين عصر ملوك الطوائف وإبان دولة المرابطين في الأندلس ، وتعد هذه العصـــور أزهى عصـــور الأندلس اذ اهتم أمراء تلك الدولتين بالشعر ،و الشعراء في ترشيح دولتهم و اثبات كيانهم .[3]

لقد أشار ابن خفاجـــــة إلى مراحل حياته منذ شبابه حتى شيخوخته في مقدمة ديوانه ، وفصلها شوقي ضيف تفصيلا لم نجده عند الأخرين من المحدثين ، وبناءا علـــى تلك الإشارة قسم شوقي ضيف حيـــاة الشاعـــر على أربعة مراحـــــــل ، فأولها مرحلة الشباب قضيها الشاعر مثقفا نفسه بالحياة الدينية ،لاهيا ومرحا كشأن غيره من الشباب

[1]- المرجع السابق، ص 07

[2]- ديوان ابن خفاجة لابن خفاجة المرجع السابق، ص 10

[3] - عصام الدين ابن احمد : ابن خفاجة الأندلسي شاعر و ناثر في وصف الطبيعة ، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية ،د-ط. 2011 ص32

يتمتع بالشبابيـــة وما ورثه عن أسرتــه من المــال و اليسر ، و أعقبت بعد الفترة الأولى من حياتـه فترة انقطع فيها الشاعــر عن تنظيم الشعر ، و يقــال أن هذه الفترة تستغرق

مدة طويلة من الزمان لكن شوقي ضيف يرجح أنها كانت سنوات معدودة انتهت بإنتهاء عصـر ملوك الطوائف ،يظن أن سـقوط طليطلة على يد الإسـبان سـنة 478هو الذي جعله يتوقف عن نظم الشعر ،وتوقف عن حياته المرحة .

أما المرحلة الثالثة ، فهي مرحلــة عودة الشاعر إلى قول الشعر بعد أن عاد الأمل إليه بدخول المرابطين لإنقاذ الاندلس من يد الإسبـــان ،ويرجح أحد الباحثين أن تكون سنة 495هـ هي السنة التي إستعاد فيها المرابطون البلنسية، فرجع ابن خفاجـــة إلى الأندلس بعد فراقه لها لمدة كانت في نحو 10 سنوات وقـدم مدائح كثيرة لـولاة المرابطين و قوادهم على ذلك الانتصار[1].

وفي المرحلة الأخيرة من حياتـــــه انصرف إلى الزهد و التوبة وابتعد عن ملذات الحياة وبدأ يفكــر في مصيره، وعندما بلغ الشاعــر الستين من عمره حدثنا عن حالتــه في هذا السن رفيقه الفتح ابن خاقان **بقوله** :

أخبروني أنه لما أقلــع عن صيرورته جعل يفكــر بما مر من شبابه ، وفيمن ذهب من أحبابه .[2]

[1]- عصام الدين ابن أحمد : ابن خفاجة الأندلسي شاعر وناثر في وصف الطبيعة ، المرجع السابق ص 33.
[2] - عبيد عبد الرحمن جبير : الطبيعة في شعر ابن خفاجة مجلة الرسالة العدد 23 ، 1933.ص 10

وفي هذه السنـــــوات أخـــــذ ابن خفاجة يجمع شعره بعد أن ألح محبو شعره من الأخوان و الأعيان ،و طلبوا منه ذلـك خشية أن يموت قبـل أن يجمع ديوانه، وقد قــدر سيد مصطفى غازي أن ذلك كان حول سنة 515هـ كان عمره أربعة وستين عاما .[1]

☜ **ثقافتــه الأدبيــة:**

نشــأ ابن خفاجـة في الأندلس ،وقـــد تلقـــى التعلم الديني في مسقط رأســـه شقـــر، و شاطبة ،ومدن شرق الأندلس على يد كبـار علماء الحديث مثل القاضي أبي علي الحسين بن محمد الصدفي ، وعلماء الفقه مثل أبي عمران بن أبي تليدة و الفقيه ابن أبي بكر بن أبي أسـد حتى نبغ في الفقه و علومه ،وصـارت له منزلة عالية عند معاصـريه ولذلك نجد أن بعض من ترجم له لقبه بالفقيه .أما أســـاتذته في الأدب فمنهم ابن صواب.

وقد اطلــع الشاعر على دواويـــن شعراء المشارقــة في القرن الرابع الهجري، وحفظ بعضها حتى تأثـــر ببعضهم من أمثـال المتنبي الشريف الرضي ،و عبـد المحسن الصـوري ويرى إحســان عباس أن ابن خفاجة ربما تأثر بالشــريف الرضــي ،ومهيار الديلمي تأثرا ملحوظا في شـعره ، فانفرد بلون شـعري اكسـب شـعره ميزة فنية منفردة ، و ارتقى من صـوفية الرضــي الدينية نحو فضــاء الصــوفية الكونية ، خاصــة أنه كان ذا نزعة وجدانية مشحونة بالقلق باحثة عن الذات **كقوله** :

غَيْرِي مَنْ يَعْتَــدْ مِنْ أُنْسِـهِ مَانَالَ مِنْ ســَــاقٍ وَمِنْ كَأْســـِهِ

[1] - المرجع نفسه، ص 12

وشَأْنُ مِثْلِي أَنْ يَرَى خَالِيـَا بِنَفسِـــهِ يَبحـــثُ عَنْ نَفســـــهِ [1]

ويعد بعض الباحثين مجـال تأثر ابن خفاجة بعبد المحسن الصوري 419هـ في مزجه الغزل بالطبيعة ، وبالمتنبي 358هـ في لف الغزل بالطبيعة كانت أشعاره كلها تدور

حول: الغزل، فقد تأثر بشعراء المشرق في تشبيهه وجـــه المرأة بالبدر ، وعينيها بالنرجس و قدها بالغصن وكـــذا بياض أسنانها بالبرق، وغيرهـــا من التشبيهات الموجـودة في قصائـــده.

أما المـــــدح نجد أن قصائده المدحية موجهة بالدرجة الأولى إلى حكام الدولة المرابطة المحافظين على الأندلس ،كما لا يغيب ذكر الطبيعة في أشعاره المدحية باعتبارها خاصية مميزة له عن غيره من الشعراء ومن ذلك نذكر:

أَلَا هَـل أَطلَّ الأَمِيَر الأَجَـلَ ُ أَمْ الشَمْسُ حَلَتْ بِرَأْسِ الْحَـمْـلِ [2]

الرثاء، الزهـد، الشكـوى، الحنين إلا أنه يكثـــر من **وصف الطبيعـــــة** حتى سماه الأندلسيـــون **الجنـــان** نسبة إلى جنـان الأندلس، فقد سكـن حب الطبيعة نفسه ما جعله يذكـرها في العديـد من مواطن شعره المختلفـة ،فعبر عن مناظـر بلاده الخلابـة في أغراضـه من غـزل ومدح ورثاء[3].

[1] - راشد عيسى و نضال الشمالي : خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الأندلســي ،مجلة جامعة الأبحاث و العلوم الغنساني 2011،ص 14.

[2]- حنان أسـماعيل أحمد عمايرة: الأثر المشـرقي في شـعر ابن خفاجة الأندلسـي ، مجلة جامعة دمشـق العدد الأول +الثاني 2011ص233

[3] - المرجع نفسه ص 234

أسلوبـــــه :

لقد عني ابن خفاجة بأسـلوبه عناية كبيرة ، فقد كان يعتقد أن الشـعر صـنعة تصقل وتهذب ،لتكون أدت تعبيرا و أوضح بيانا ،و قد كان و لعه بالتصوير ، وانكبابه و حرصـه على ذلك ، ثم ربطه ذلك كله بمشـاعره و أحاسـيسـه الدفينة داعيا إياه إلى الإكثار من التشبيهات ، و الاستعارات و ولوعه بالصنعة ، و الكنايات ، و التورية في شعره ، و توشيته بأنواع الجناس ،و الطباق و غيرها من المقومات الأسلوبية المتنوعة جعل بعض شعـــره متكلفـــــا حيث أنه كان يكثر من ألوان التصنيع الحسية ،و أظهر فيها مهارات كبيرة .

وكان رقيق الشـعر أنيق الالفاظ، و قد سـاعدته معرفته العميقة للعلوم العربية على حسن استخدام هذه العناصر الأسلوبية في شعره، كما أمدته مخيلته القوية بزاد ضخم من الصور و المعاني التي قد تزدحم لديه في القصيدة ، بل في البيت الواحد[1] .

الأمـر الذي يصبغ شعره أحيانا بسمة من الغموض ، وهو غموض يضفي علـى الشعر جوا من السحـر تجد النفس في ظلالـــه متعة غامرة ، إلا أن البعض أنكرو ذلك عليه ، و وجدوه عيبا في شعره ، ماجعل ابن خلـدون يقـول:

[1] - بومدين كروم : الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، سوريا ط 1 ، ص 127

(كان شيوخنَا رحمهم الله يَعيبونَ شِعر أبي بكر ابن خفاجَة شَاعر شَرقي الأندلس لِكثرة مَعانيه و ازدحامِهَا في البيت الواحِـــد ، فَقَد قصد الصور التي تُعبر عَن مَشَاعرهم الفَياضة).[1]

☜ابن خفاجة في ميزان النقاد:

حظي بعناية كبيرة عند القدامـــــى الذين أرخو للأندلس، وأهلها والمحدثين الذين أفردوا الحديث عن الادب الأندلســـي، فهو منً رجال الذخيرة و القلائد و المســـهب والمغرب و المطربً فإنهم أعجبوا به و بشعره وجعلـــوه في المرتبة الرفيعة ،و المثل الأعلى في قول الشعر ولقد أبدى المقري اعجابا كبيرا به ، وأشـــاده به إشادة رائعة في كتابه نفح الطيب ،وشهد أنه أديب الأنـــدلس وشاعرها ، وقد تفرد ابـــن خفاجة في الوصف و التصـــرف فيه ،كالأنهار ،والأزهار، و الرياض والبســـاتين حتى لقب (**صـــنوبري الأندلس**) ،فقال في قصـــيدته "**ملاءة الأنوار** " التي من خلالها يصـــف الطبيعة وحال الأزهار إثر نزول المطر :

وَقَدْ ارْتَدَى غُصْنُ النَقَـــا وَتَقَلَـدَتَ حلَـــى الأَحْبَابِ سَوَالف الأَزْهَار

فَحَللت حَيث المَاء صَحفَة ضَاحِكَ جَـذل وَحَيثُ الشَـــط بَدء عُذَارَ

وَالريـــــحُ تَنْفُض بكْـرْة لَمم الرِّبَـا وَالطَـل يَنضُح أَوجَـــه الأَشجَار[2]

[1] - المرجع السابق ص 128

[2]- غربي زهر العنابي فاطمة الزهراء : الانسـان والطبيعة في شـعرية ابن خفاجة و الرمانسـيين الفرنسـيين ، دراسـة مقارنة ، دمشق دار الكتاب 2002 ص56

قصيدة أخرى له تحمل عنوان " **الحديقة الراقصة**" التي أبرزت بشكــل واضح أحاسيس الشاعــر حين قال :

وَصَقِلِيةَ الأَنْوارَ تَلـْوِي عَطْفَهَا رِيحٌ تَلفُ فُرُوعَهَــا مِعْطَـارَ

عَاطَى بِهَا الصَهْبَاءَ أَحـوَى أحُورَ سَحَابَ أَذْيَـالَ الصِّبَا سَمَارَ

وَالنُّورُ عقْدُ وَالغُصُونُ سَوالـِفُ وَالجَذْعُ زَندُ وَالخَليجُ سِـوَارَ[1]

وشـهرته تغني عن الإطناب فيه، وقال في موطن أخر في كتابه أنه شـاعر الطبيعة الأكبر، وأما المحدثون الذين أفردوا الحديث عن الأدب الأندلسي عامة، وشعر الطبيعة في الأدب العربي خاصة ، فقد أشـــــــاروا إلى أن ابن خفاجة علم من أعلام الأندلس يشار إليه بالبنان، وأنها عبقرية تزهي بها جزيرة شـقر، ويفاخر بها المغرب و المشـرق كما ذهب إليه محقق الديوان ، سـيد مصـطفى غازي ،وهذه ميزة امتاز بها ابن خفاجة و الأندلسـيون على شعراء المشارقة[2].

وهو نفسه كان يدرك شدة إلحاحـــه على الطبيعة واستغلاله لها في شعره، وكان هو نفسه حائرا في تفسير هذه النزعة المتمكنة، فهو يقول عن نفسه مستعملا ضمير الغائب: (**إكثار هَذَا الرجلِ فِي شِعْرِه مِن وَصْف زهرة، و نعت شجرة و جرية ماء و رنة طائر**

[1] - غربي زهر العنابي فاطمة الزهراء: الانسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة و الرومانسيين الفرنسيين، دراسة مقارنة ، المرجع السابق ص 57.
[2] - المرجع نفسه ص 60.

مَا هو إلا لأنه جانحا على هذه الموصــوفات لطبيعة فطر عليها، و إما لأن الجزيرة كانت دَاره وَ منشـــأه و قراره حَتى غَلب عَليه حُب ذَلك الأمر، فَصَـــار قَوله عن كلف لا تكلف مَعَ اقتناع قام مقام اتساع، فأغنـاه عن تبذل و انتجاع).

فيرجع أن يكـــون حب الطبيعة لديه أمرا في تركيبه و جبلته، فإن لم يكـــن كذلك ،فهو أثر من اثار البيئة الطبيعية الجميلة التي نشأ فيها .[1]

يقول وهو يصف زهرة:

وَمَائِسَة تَزهى وَقَد خَلَع الحَيـَا عَلَيهَا حُلـَــي حَمْرَا وَرْدِيـَــة خَضْرَا

يَذُوبُ لَهَا ريقُ الغمـَامَة فضةُ وَيجمُد فِي أَعطَافـهَا ذهبـَـــا نُضْرَا[2]

ويقول أيضا وهو يصف نهرا في بلدته شقر:

لله نَهـْراً سـَـــالَ فِي بَطْحـَــاءِ أَشْهى ورودًا من لَمـَى الحَسْنـــاءِ

متعطفُ مِثلَ الســـِــوارِ كَأنـَــهُ وَالزَهْر يَكْنَفـَــهُ مجــرَ سَمـَــاءِ

قد رقّ حتى ظُن قـرصا مُفرغـًـا من فضة فِي بـردة خَضـْــــــرَاءِ

وغدتْ تحف بِه الصـون كَأَنهـَا هَدْبُ يَحُـف بِمقلةٍ زَرقـَــــــاءِ

وَالريحُ تعبثُ بالغصُونِ وَقَد جَرَى ذَهب الأَصيـــلِ عَلَى لجيَـن المَاءِ

[1] - مجدي عبد المعروف حسين احمد : القيم الأخلاقية و الجمالية في شعر ابن خفاجة الأندلسي دراسة تحليلية وصفية د،ط2009 /ص205

[2] - المرجع نفسه ص 206

ففي هذه الأبيات شبه ابن خفاجة نهرا في بلدته شقر بسوار تحفه أزهار من كل مكان أو كأنه قرص وضع على أرض خضراء معشوشبة مزهرة ،فهو شاعر ابن طبيعة الأندلس يستلهم منها أحاسيسه ،ويجسدها في أبياته بأسلوب سلس منمق.[1]

وفاتــه:

توفي الشاعر الأندلسي ابن خفاجة سنة 533هـ، عن عمر اثني وثنانين سنة حيث قدر له أن يعيش فترة طويلة من حياته.[2]

[1] -المرجع السابق ص 207
[2]- علي الجولق : الصورة الفنية في الشعر الاندلسي، د-ط ص 9

الفصل الأول :ماهيـــــة المكان
وفلسفته في الشعر الأندلسي

الفصل الأول: ماهيـــة المكان وفلسفته في الشعر الأندلسي:

أصبح المكان يثير فضول الباحثين حيث تمحورت حولـــــه الكثير من الدراسات الأدبية وأصبح ذا شأن في جمع الحقب التاريخية ، وهناك دراسات أكاديمية اتخذت من هذه المفردة واجهة لعناوينها.

و من هنا يمكن التساؤل عن مفهوم المكان، فكيف يكون لنا التوصل إليه ، إذا أردنا أن نضع تعريف للمكان ، فلابد أن نتطرق إلى بعض العلوم التي تناولت المكان بالدرس خاصة أنها كانت المنبع التي انبثقت عنه مفاهيم المكان المتعددة.

فأفلاطون و أرسطو تحدثوا عن المكان في اطار فلسفي، وتناول علم الرياضيات والهندسة والفيزياء المكان بالدرس، فكان الركن الأساسي فيها، ولما كان الأمر كما أسلفنا لابد من التعرض لمفهوم المكان اللغوي و الفلسفي .[1]

المبحث الأول: المكـــان بين المفهوم والماهيـــة

أ)المكـــان لغة:

المكان الموضع، و الجمع الأمكنة وأماكن توهموا الميم أصلا حتى قالوا:

تمكن في المكـــان.

[1] - حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية دراسة ديوان المطبوعات د.ط 9-2011ص 128

هكذا أوردها ابن منظور تحت الجذر كون [1]، لكنه ما لبث أن أعادة الحديث تحت الجذر مكن فقال :و المكان الموضـــع و الجمع أمكنة و أماكن جمع الجمع ،فقال ثعلب يبطل أن يكون فعالا لان العرب تقول :كن مكانك ،وقم مكانك ،واقعد مكانك ،فقد دل هذا على أنه مصـدر مكان او موضـع منه .هنا يؤكد صـاحب اللسـان ان المكان مشتق من كون لامكن[1].

بالإضـافة إلى هذه التعريفات المختلفة نجد أن هذه الكلمة (**المكان**) وردت أيضـا في القرآن الكريم:

في **قوله تعالى** :« **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَـرْقِيًّا** »[2]أي المحل .

وقوله تعالى : ((**قالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَـــيْخًا كَبِيرًا، فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين**)). **أي بدلا منه** [3]

ووردت بمعنى المنزلة كما في قوله تعالى:« **قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّـلَالَةِ ،فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حتى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّـاعَةَ ،فَسَـيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَـرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا**. [4]»

كما ورد لفظ المكان في السنة صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صـلى الله عليه و سـلم يقول : ((**إن الشَّـيطَانَ إِذاَ سَـمِعَ النِّدَاءَ بِالصَـلاَةِ، ذَهَبَ**

[1]-حنان محمد موسي حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي أنموذج3ا ،ط2-2005ص13
[2]-القرآن الكريم : سورة مريم الآية 16.
[3]- القرآن الكريم : سورة يوسف الآية 78.
[4] - القرآن الكريم : سورة مريم الآية 75

حَتىَ يَكُونَ مَكَانَ الرَوْحَاءِ ، قَالَ سُـــلَيمَانُ :فَسَـــألَتهُ عَن الروحَاءِ فَقَالَ :هِي مِنَ المَدينَةِ سِتَةَ وَ ثَلاَثِون مَيلاً)) ،و في حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ((**لاَ تَقُومُ السَّـــاعةُ حتَّى يمُرَ الرجُلُ بقبرِ الرجُلِ ، فيقولُ :يَا ليتنِي مَكَانَهُ**)) .أخرجه البخاري .

ويرتبط فعل الكون بالخلق و الوجود، و نجد هذا واضحا في قوله تعالى: ((**إنَّماَ أَمْرُه إذاَ أَرَادَ شَيئًا أنْ يَقُول له كُنْ فَيكُونْ**)).[1]

كذلك وردت في قوله تعالى :((**وَ استَمعْ يَوم يُنَادِ المُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**)).[2])

ب-المكان في المعاجم اللغوية:

أمـــا في المعاجم اللغوية ،فقد وردت كلمة مكان بمعان مختلفة نذكـــر منها:

ورد عند **ابن منظور** -**لغة**: المكان و المكانة واحد التهذيب: الليث: مكان في أصـــل تقدير الفعل مفعل، لأنه موضـــع لكينونة الشـــيء فيه، غير انه لما كثر اجروه في التصـــريف مجرى فعال فقالو ا: مكنا له وقد تمكن و ليس هذا بأعجب من تمســـكن من المسكن قال : و الدليل على أن المكان مفعل أن العرب لا تقول في معنى هـــــــو من مكان كـذا و كذا لا مفعل كذا و كذا بالنصب [3].

ومعجم تاج العروس الذي أعطى تأويلا لغويا للمكان، بالتحديد في باب الميم فصل النون، المكان الموضـــع الحاوي للشـــيء ، وعند بعض المتكلمين هو عرض و اجتماع

[1] - القرآن الكريم : سورة يس الآية 81
[2] -القرآن الكريم : سورة ق الآية 41
[3] - ابن منظور :لسان العرب دار صادر بيروت د.ط 1997 ص.50

جسـمين حاو و محوى ، فالمكان عندهم هو المناسـبة بين هذين الجسـمين و ليس هذا المعروف في اللغة قال الراغب جمع أمكنة .[1]

ومن هذه المفاهيم التي رأيناها يتضح لنا أن كلمة المكـــــــان سواءا في القرآن الكريم أو المعاجم اللغوية لم تخرج عن المعاني التالية : الموضع، المنزلة، المحل ، المكانة ، وهذا يـدل اتفاق الجميع علـيها.

هـــذا في التعريف اللّغـــــوي.

جـ – أما في التعريف **الاصطلاحي**، فنجد:

للوصـول إلى المفهوم الاصـطلاحي للفظة المكان، نسـير مع النقد الأدبي الحديث في كونه يستمد ما يستعين به في الحكم ، و التفسير ، و التقدير، و التوضيح ، و التحليل من كل ميادين المعرفة الحديثة ، كعلم الاجتماع و علم النفس وعلـــم النفس التحليلـي و تتسلط هذه المعرفة كلها على الأدب و الشعر .[2]

فالمكـــان حسب الشاعـــر ليس مجرد أبعاد و امتدادات هندسية أو طبيعية ايكولوجية يستطيع الإنسان أن يؤلفها، بل هو المساحة التي يؤطرها الإحساس و الشعور الإنساني باعتبارها منبعا أساسيا لتكوين ذات الفرد [3].

[1] - السيد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ،دار صادر د –ط ، ج9 ،بيروت لبنان –ص 348، 349

[2] - احسان عباس : فن الشعر دار صادر بيروت ،دار الشروق عمان ط1، 1996 ص174

[3] - قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشـعري العربي المعاصـر دلالة في إشـكالية التلقي الجمالي للمكان، د-ط 2001، ص261

وهو كذلك الفضاء الأمثل الذي يسهل عملية التجادل بين الشاعر و تصوراته و شعوره[1]

نجد **باديس فوغالي** يقول : (**ان المكان ذو أهمية بارزة في تشكـل الحياة ،فهو الموضـع الذي ينشـأ فيه الكائن الحي و يتطور فيه**)، ومن ثم فإن المكان لا يكون ذا جدوى ما لم ترتبط به الحياة ، سواءا كـــانت هذه الحياة حياة البشر أو حياة الحيـــوان فأي كوكب من الكـــواكب ، و أي مكان لم يكتشف ،ولم تخترقه الحيا ة ليس بمكـــان المكان هو الموضع الذي تزخر فيه الحياة ، لتوفره على العناصر الأساسية للحياة من ماء وهواء و تراب.[2]

حنان مرســـي حمودة في كتابها: (**المكان في الأدب هو الصـــورة الفنية التي تذكـــــرنا، و تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة الذي يستحضر لارتباطه بعد مضي ولكونه علامة في سياق الزمن ، وهكذا يتخذ المكان شخصية مكانية**)[3].

و أما حين نعرج للناقد **حســـن البحراوي** نجده قد عمد في **كتابه بنية الشـــكل الروائي** إلى اســـتثمار مفهوم التقاطبات، التي أتى بها الباحث الســـوفياتي يوري لوتمان وجاءت دراسـته عبارة عن مجموعة من الأماكن، التي تقوم على ثنائيات ضـدية ، فهناك أماكـــــن اختيارية و أخرى اجبارية ، وهناك أماكن الانتقال العموميـــــة ، وأخرى خصوصية .[4]

[1] - المرجع نفسه ص 263
[2] - باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، الأردن ط1/2008 ص170
[3] - حنان مرسي حمودة : الزمكانية و بنية الشعر المعاصر مرجع سابق ص23
[4] - حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، بيروت ط1، 1990ص91

-**سيزا قاسم** يرى المكـــان : هو الإطـــار الذي تقـــع فيه الأحـــــداث.[1]

يوري لوتمان الذي يخالفهم الرأي **فيلخص تعريفه** للمكان: على أنه المكان حقيقة معاشـــة ويؤثر في البشـــر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، وتنطوي علاقتنا بالمكان على جوانب شتى ومعقدة تجعـــل من معايشتنا له عملية تجاوز قدرتنا الواعيـــة لتتوغل في لا شعـــورنا.

فهناك أماكن جاذبة تســاعد على الاســتقرار وأماكن طاردة تلفظنا، فالإنســان لا يحتاج وحسب إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته[2] .

أما غاســتون باشــلار يرى أن المكان هو: المكان الأليف وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة إنه المكان الذي مارســـنا فيه أحلام اليقظة، ونشـــكل فيه خيالنا.[3]

حبيب مونسي في كتابه المكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث[4]

وهو عند إلياس أبي شبكة : مكان مشرف عال يحيط به الشجر ،و الصخر امعانا في المنعة و الابتعاد[5] .

[1] - سيزا قاسم: بناء الرواية الفنية بيروت، ط2 ، 1988ص76.
[2] - يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني ترجمة سيزار قاسم دار قرطبة، ط 2-1988 ص68
[3] - غا ستون باشلار: جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، بيروت –لبنان ط2 .1984 ص6
[4] - حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، المرجع السابق. ص 13
[5] - يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ترجمة سيزارقاسم ، المرجع السابق ص 59

أما قاسم سيزا يقول : المكـــان بالمعنى الفيزيقي اكثر التصاقا بحيـــاة البشر [1].

ونلخص إلى أن ظهور مصطلح المكان في النقد العربي كـــــــان متأخرا، كما أن استخدامه كان يختلف من باحث إلى اخر بتعدد التسميات **الحيز** ، **المكان** ، **الفضاء**.

[1] - قاسم سيزا : بناء الرواية الفنية المرجع السابق ص 30

المبحث الثـــاني: المكـان فلسفيا

المعنى الفلسفي للمكان:

أشـار علماء النفس أن أكثر العلوم قربا من لفظة المكان هي العلوم الفلسـفية، و يعد أفلاطون أول من صرح به استعمالا و لايعني أن الفلاسفة العرب لم يهتموا به، فقد صـنف حسـن مجيد العبيدي آراء الفلاسـفة كإبن سـينا ، و ابن رشـد ، والكندي و الفرابي و فلاسفة آخرين ،فقد اهتمت الفلسفة الحديثة به اهتماما خاصا [1] .

أفلاطون 427-347ق.م عده الحاوي للأشـــياء، أخذ بعدا أكبر في جعله ما يحوي ذلك الشـيء، ويميزه ويجده ويفصـله عن باقي الأشـياء ، وجاء **أرسـطو** ليرى بأن لكل جسـم مكانا خاصـا يشـغله ،وعرفه بأنه نهاية الجسـم المحيط ،وعند إقليدس300-246ق.م هو ثلاثي الأبعاد الطول، العرض، العمق[2].

أما في الفلسفة العربية فقد أشار:

الكندي 185-252هـ إلى أن المكان موجود ولا يمكن إنكاره، وعرف المكان على انه التقاء أفقي المحيط والمحاط به.

- وسار **الفرابـي** 275-339هـ.على منوال الكندي مؤكدا ان المكان موجود بيِّن، ولا يمكن إنكاره إذ لا يمكن أن يوجد جســم من دون مكان خاص به، وذهب ابن الهيثم 354-430هـ.مؤكدا أقوال من قال: عن المكان هو الابعاد.

[1] - دلال حسين عنبتاوي: المكان بين الرؤيا والتشكيل في شعر إبراهيم نصر الله د ط، عمان ،2016، ص10

[2] - محمد عاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2 ،2002 ص276

ابن سينا : يعرف المكان أنه السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى.[1]

و اما ابن رشد: جاء بمصطلح الجهة كمقابل للمكان مع نفييه للجسمية، و تعزز المعتزلة التصور الخاص للمكان القائل في مسالة استحالة الجهة : البارئ لا في المكان بل هو على ما يرام لم يزل عليه ، .. وهو قول سليمان الفوطي وعبـــاد ابن سلمـــان و أبي زفر، وغيرهم من المعتزلة.

إن اجماعهم مفقود على نفس الجهة والتحيز والمكان المستلزم للجسمية التي تنافي التنزيه والتوحيد.[2]

- كما نجد أبا **احمد الغزالي يقف** على فكرة المكان موقف الفلاسفة الذين سبقوه في قوله: ان المكان عبارة عن ســـطح الجســـم الحاوي، أعنى ســـطح الباطن المماس للمحوي.[3]

- و يقر **الرازي** بوجود الخلاء ، ويعتبر وجوده ممكنا ، فيخالف بهذا الراي أرســـطو ومن الفلاسفة العرب ، وعموما ينشأ مفهوم المكان مع الفلسفة اليونانية و اخذ مفهومه معنى يختلف من غيره من المفاهيم كالزمان ، الحركة ،الجســـم الطبيعي ، وكان أفلاطون واضعا اول مفهوم اصطلاحي للمكان ، إلا أن الفلاسفة الذين جاءوا بعده اختلفوا في تحديد مفهومه نظرا لاختلاف المنطلقات التي تصدر عن اباحتهم .[4]

[1]- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي المرجع السابق ص 4

[2] - محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشرق ط2، القاهرة 1988، ص56

[3] - باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي المرجع سابق ،ص173.

[4] - حســـن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلســـفة ابن ســـينا ، دار شـــؤون ثقافة العامة ط1، بغداد العراق ،1987ص27،28

- **كما ورد عند علي ابن محمد الجرجاني** ت816هفي كتابه التعريفات في قوله المكان عند الفلاسفة هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس الظاهر من الجسم المحوى، وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله و ينفذ أبعاده .[1]

- أما **ابن الهيثم ت** 340هـ فقد نظر على المكان بانه: النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي كما عده بعدا متخيلا يحيط بالجسم، تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة.[2]

- أما **ديكارت** فقد اختلفت نظريته عن أرسطو وأفلاطون: فهو يرى أن المكان هو فكرة فطرية من أفكار العقل، فنحن لم تكن لدينا الأفكار المسبقة الفطرية عن الدوائر والمثلثات فإننا لم نكتشفها ابدا ولن نعرفها في عالم الخبرة الحسية او العالم الخارجي.[3]

- و**نيوتن** يفرق بين مكانين أولهما المكان النســـبي هو عبارة عن بعد متحرك أو واسطة للأماكن المطلقة التي تحددها حواسنا بواسطة وضعها بالنسبة إلى الأجسام، يكون مكانها متنقلا أحيانا، وثابتا أحيانا.[4]

وبعد هذه النبذة في عالم الفلسفة نجد أن المكان قد اتضحت معالمه ووجوده، ولا يمكن إنكاره وهذا الخلاف في مفهوم المكان –فلســـفيا –عائد إلى تعدد الدراســـات الفلسفية، وكثرة مناهجها وأقسامها ومن ثم تعدد مفهوم المكـــان.[5]

[1] - الجرجاني علي ابن محمد : كتاب التعريفات مكتبة لبنان د،ط بيروت 1985،ص 344.345

[2] - شلاش غيداء احمد سعدون : المكان و المصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية ،د ، بغداد المجلد 11،2011،ص 247

[3] - محمد علي عبد المعطي : قضايا الفلسفة العامة و مباحثها دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،د.ط ص175

[4] - بدوي عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط1ج2،ص 462

[5]- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية ،مرجع سابق ص6

*المكـان عبر العصور الأدبية:

عرف الإنســـان العربي بحبه للأرض وارتباطه بها وحنينه لكل مكان تركه، وهذه السمة نلمس أثارها لدى الشاعر العربي بشكل كبير، فجاءت أهمية المكان لكونه حقيقة معاشه، يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه.

وفي شـعرنا العربي نجد هذا الارتباط بالمكان منذ عصـر ما قبل الإسـلام، فكان الوقوف على الاطلال سمة بارزة لدى الشـاعر الجاهلي وعنصـرا لا غنى عنه بل هو جزء من كيان عضوي كلي يخضع لمطلقات القصيدة الكلية ولبنيتها، وجاءت أهمية المكان في هذا الشـعر من هذه الظاهرة وأصـبحت مسـتهلا وباعثا من بواعث أصـالة القصـيدة العربية، بل وبنية من ابنيتها التي عدت أساسا لتركيب القصيدة العربية للعصور التي تلت هذا العصر.[1]

وكانت هذه الأماكن قد شـــكلت مجموعة مثيرات دعت إلى إثارة العواطف وتصـــوير انقلاب الحال، والعودة إلى الماضـــي الضـــائع وإثارة الإحســـاس بعنف تجربة الحرمـــان من الاستقرار.

فنجد الشـاعر باكيا الذكريات الخالية بمرارة وألم تارة واصـفا تلك الأماكن الدارسـة تارة أخرى ، وكلا الأمرين يعكس لنا الاضـطراب النفسـي والإيديولوجي لدى الشـاعر العربي .فهذا **امرئ القيس** استوقفته الديار[2]

[1] - محمد عبيد صالح الهمذاني : المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة دـــط 2013 ،ص 225
[2]- المرجع نفسه ، ص226

فحن إليها وبكى عليها حين قال في معلقته الخالدة:

قِفَـا نَبْكِي مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بَينَ الدَّخُولِ فَحُوْمِلِ

فَتوضِحُ فَالمِقـرَاةُ لَمْ يَعْفُ رَسْـمُهَا لَمـَا نَسَجَتهَا مِن جَنـُوبٍ وَشِمَالِ

فجدلية الإرتباط بين الذات و المكان هي ما تقوم عليه هذه المقدمة فهما متداخلان في نسق سياقي واحد، فالمكان هنا المنفذ الوحيد للشاعر للهرب نحو كل ما هو جميل، و المثير الذي يولد كل هذه الإحساسات ويكسبها صدقا في العاطفة وعظمة في المشاعر ودقة في التعبير.

وعكس المكان عند الشـاعر الجاهلي صـعوبات الحياة التي عاشـها ، وقسـوة الظروف الطبيعية التي عرفها ،فكانت حياته حافلة بالمخاطر والصـــعاب ما لبث أن دوَّنها في شعــره ،و أبان عن تجربته المعاشة بتجربته الشعرية .

لبيد بن ربيعة العامري يقول:

وَأقطَـعِ الخـرقَ قَدْ بَـادَتْ مَعَالِمُــهُ فَمَا يَحُـسُ بِه عَيــنُ وَلاَ أَثَــرُ

وتثير الأطـــلال، والأحـــزان، و الآلام لدى الشاعر وتمدها بخزين مثقل بالذكريات وفيه دائما صلة تشد الشاعر إلى ماضي حبيب إليه.[1]

[1] - محمد عبيد صالح الهمذاني : المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، المرجع السابق ، ص 227

أنـــواع المكـــان :

المكان ينقسم إلى أربعة أنواع حسب مول روميير:

- وهو المكان الذي يمارس فيه سلطته، و يكـــون بالنسبة له مكانـــا حميما و أليفا .

و عند الآخرين ، وهو مكان يشـــبه الأول في نواح كثيرة ولكنه يختلف عنه .من حيث أنه –بالضرورة –يخضع فيه لوطأة لسلطة الغير ، ومن حيث أنه لابد أن يعترف بهذه السلطة .[1]

الأماكن العامة وهذه الأماكن ليســت ملكا لاحد معين ، ولكنها ملك للســلطة العامة الدولة النابعة من الجماعة .

المكان اللامتناهي ويكون هذا المكان بصـــفة عامة خاليا من الناس، فهو الأرض التي لا تخضع لسلطة أحد، مثل الصحراء، البحر هذه الأماكن لا يمتلكها أحد و تكون الدولة و سلطاتها بعيدة بحيث لا تستطيع ان تمارس قهرها .[2]

وهذه الأماكن متداخلة مع بعضها البعض لأنها تشكل في النهاية ذلك الارتباط الحميمي للإنسان بمكانه.

ولم تقتصر هذه التقسيمات بهذا الشكل فهناك تقسيمات كثيرة.

[1] - يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ترجمة سيزارقاسم ، المرجع السابق ، ص61.
[2] - المرجع نفسه، ص62.

الفصل الثاني:
تجليات المكان
(البعد والدلالة)

الفصـــــل الثـــاني: تجليـــات المكان (البعد والدلالـــة):

لقد أخذ الحديث عن المكـــان في الشعر العربي الحديث أبعـادا ودلالات مختلفة بحسب زوايا الرؤيا التي عالجته من جهة ، وبحسب المفهوم الذي أنيط به من جهة أخرى ثانية وبحسب المعارف الرافدة التي تؤسس الدراسة[1].

المبحث الأول: أبعـــــاد المكان:

للمكان مجموعة من الأبعاد نذكر منها: البعد النفسي و الاجتماعي ، البعد السياسي و الوطني ، البعد التاريخي و التي نوجزها في هذا المبحث .

أ–البعد النفسي والإجتماعي:

البعد النفسي للمكـان هو مجموعة الأحاسيس والتشكلات النفسية الخاصة بذات الشاعـــر، فاستحضار المكـــان كـــان له دور فعلي في ابراز جملـــة التجارب و الأحاسيس المتناقضة، التي تؤثر على النص الشعري .[2]

ولكن يمكن القول أن المكان بالمعنى الفيزيقي أكثر التصـاقا بحياة البشـر ، من حيث أن خبرة الإنسـان للمكان يدركه إدراكا حسـيا مباشـرا يبدأ بخبرة الإنسـان لجسـده :هذا الجسد هو– مكان – أو لنقل بعبارة أخرى مكمن القوى النفسية ،و العاطفية ،و العقلية للكائن الحي ، وقد يفسر هذا أن البشر لجأوا للمكان في تشكيل تصوراتهم للعوالم المادية

[1]- حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، مرجع سابق، ص130

[2] - الجداري عمارة : المكان و البعد النفسـي في الشـعر العربي القديم *المفضـليات *نموذجا ،مجلة جسـور المعرفة ، جامعة حسيبة بن بو على ،شلف ،2015،ص 7

و الغير المادية على السـواء ،فالقرب و البعد ،و الارتفاع و الانخفاض علاقة مألوفة تربط الإنسان ارتباطا بدائيا بالمحيط الذي يعيش فيه.[1]

و كما أســلفنا يرتبط البشــر ارتباطا وثيقا و حيويا بالمكان الذين يعيشــون فيه، فالإنسان يعيش في جسده و به ويموت إذا أصيب هذا الجسد.

ويتضح أن المكان حقيقة معاشة ، ويؤثر في البشر بقدر ما يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي ويحمل المكان في طياته فيما تنتج من التنظيم المعماري كما تنتج من التنظيم الاجتماعي، فيفرض كـــل مكـــــان سلوكا خاصا على الناس الذين يلجأون إليه

و الطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة.[2]

لقد أخذ الاهتمام يكتســـب طابعه العلمي، حين غدا امتدادا للجســـد عند المفكرين الاجتماعيين والنفسانيين على حد سواء.

فقد قارن عالم الاجتماع (أ.ت. هل) هذا الحيز بالفقاعة التي يعيش الفرد بداخلها ويحملها أينما ذهب، وهو فضاء تتعدد وظائفه و معانيه بالنسبة لصاحبه و للآخريـــــن وقد تكشـــف الدراســـات عن معاني أخرى يمتلكها المكان الجغرافي، كاكتســـاب القيم الاجتماعية نعوتا مكانية للدلالة على سموها ومكانتها و جدارتها .[3]

فهناك تعارض شاسع بين المكان المتسع الذي يرتبط بالفقر و الفراغ و البرودة وهو مكان يوحي بذوبان الكيان و تلاشيه، فالإنسان يتيه فيه ، ويفقد نفسه ، وبين المكان

[1] - يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني ترجمة سيزارقاسم ، المرجع السابق، ص 59
[2] - المرجع نفسه، ص 60
[3] - حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية ، المرجع السابق ، ص 12

الضـــيق الذّي يرتبط بالدفئ و الألفة و الحماية حيث يتم التعارف بين الناس ، ويحمل مجموع ســـلوكنا قيمة معينة من خلال وظيفة الأماكن التي نمارس فيها هذا الســـلوك، فالأماكن الدينية تفرض علينا ارتداء ملابس محتشـمة و الكلام بصـوت خفيض ، وكذا المكان الذّي نعمل فيه له متطلباته .

وتنطوي علاقتنا بالمكان على جوانب شـــتى و معقدة تجعل من معايشـــتنا له عملية تجاوز قدرتنا الواعية للتتوغل في لا شعورنا، فهناك أماكن جاذبة تساعدنا على الإستقرار و أماكن طاردة تلفظنا، فالإنســان لا يحتاج فقط إلى مســاحة جغرافية ميتافيزيقية يعيش فيها ،ولكنه يصبو إلى رقعة تتأصل فيها هويته ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان و الهوية مرآة ترى فيها الأنا وصورتها في إختيـــار المكان يمثـــلان جـــزءا من بناء الشخصية البشرية .[1]

لا يمكن اعتبار المكان مجرد حيز أو فضاء، أي أن الإنسان يحول معطيات الواقع المحسوس ،وينظمها عبر إدخالها في نظام اللّغة التي تحمل الأشياء في الوقت ذاته دلالات إيجابية أو سلبية[2] .

و المتتبع الحقيقي لعلاقة الإنسان بالمكان تبيّن أنه كـــان في مكان معلوم ، ثم ولد في مكان يشـكل بداية علاقة حقيقية بالمكان ، لترسـم معالم شـخصـيته تخت مؤثرات مكانية ،فهو ابن البيئة بأحداثها وهمومها و تاريخها يتأثـــر بالحاضر ،و الماضي حسب قربه أو بعـــده عنها[3] .

[1] - يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ترجمة سيزارقاسم ، المرجع السابق ، ص 61

[2]- المرجع نفسه، ص 64

[3]- خرفي محمد صالح : ج ماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم كلية الآداب و اللّغات جامعة قسنطينة لجزائر ط2، 2005-2006 ص 111

ولذلك وجدت (أي علاقة الشعر العربي بالمكان) على أنها علاقة قديمة وأصيلة أنها علاقـة وجـود وحياة متجذرة في وجدان الشاعـر ،وإذا كـان منبع الشعر هو الوجدان، فإن أقـوى البواعث وأحقها الداعية إلى قول الشعر هـو الوجدان والنفس[1]

فإن المكـان حاضرا في الذاكـرة الملهمة بكـل ما فيـه من مواقف وأحـداث.

إن ما سبـــق يفسِّر الارتباط الإنساني الحميم بين الشاعر والمكـــان عبر تذكره للأحداث التي جرت فيه وحنينه لتلك الذكريات بكل ما فيها من مشاعر فياضة.

فالمكان الذي تقضي فيه كل حياتنا ،وولادتنا حتى مماتنا حين تتم استعادته ،فإنه يكشف لنـــــا عن وجوده الواقعي بل عن بعده العاطفي الّذي اندس في موجوداتنا الشعورية والجمالية، ومن هنا تصبح صورته ذات طبيعة شعريـة.[2]

فالعلاقة بين الشعر و المكان علاقة عميقة الجذور، و متشبعة الأبعاد ،فهي علاقة فعل ورد فعل مايؤثر على نفسية الشاعر يمتلكها إحساس حب المكان إلى درجة العشق الأبدي .

إن هذه الذاكـرة التي تستوطن دواخلنا هي على حـد قول **بـاشلار** :

(بروز متوثب ومفاجـئ على سطح النفس)[3].

ولذلك إذا إستعدنا المكان فإننا نستعيـده وفق تأملات نفسية وانفعاليـة ارتبطت به عبر شـبكة من الهواجس النفسـية ، والشـعورية معا لكن عندما يكون المبدع مبدعا ،فإن

[1]-نبوي أحمد السيد :جماليات المكان عند ابن خفاجة الاندلسي ، مقالة ضمن مجلة فكر و ابداع –السعودية ص 03.
[2]- حداد علي ، جماليات المكان عبر ذاكرة الطفولة قراءة في الانبهار و الدهشة، اليمن ط1، ،2009 ص 39
[3]-غاستون باشلار : جماليات المكان ترجمة غالب هلسا، المرجع السابق ، ص 39

حالة الإبداع هذه لا تأتي إلا بعد تماهيه مع الموجودات مكانه المادية والمعنوية، فالمكان هو منطلق الشـــاعر ومنتهاه في شـــكل دائري تتفرع عنه بعض التيمات، لكنها تتداخل جميعا لتشكيل النص الشعري المكاني[1]

ولقد تفطن الشعـــراء المعاصرون للحالـــة الإجتماعية التي يعيشها أبناء الأماكـن، فحـــاولوا جاهديـــن إظهار البعد الاجتماعي للمكـان من خـــلال التركيز علـى القيم والعلاقات الاجتماعية، والتقاليد التي تسود بين أبناء المجتمع الواحد، فاتخذوا من الانفعال أســـاس موقفهم الاجتماعي الذي تحول بعد ذلك إلى حماس وخاصـــة تيار المقاومة من خلال الصراع بين التحول والتغيير.

وقد اهتم الشعراء بالبعد الاجتماعي، وعبروا من خلاله عن قضايا مجتمعهم وهمومه الذي يعد بعدا أساسيا من أبعاد الرؤية الشعرية، فمن الطبيعي أن يكون لكل إيديولوجية رؤيتها الخاصة وتصورها الخاص لقضايا المجتمع، كما نجد أن الشعراء يختلفون من خلال إحساسهم بالمكان الاجتماعي.

فالشعر يعكس علاقة الشاعر بواقعه، لذا لا يمكن للشاعر مهما تكن درجة انعزاله أن يبتعد أو يتجنب تأثير المجتمع عليه.[2]

وهذه الأماكـــــــن الاجتماعية كان لها حضور مميز في الشعر وضف من خلالها توظيفا فنيا جماليا ، اســـتطاع من خلاله أن يعبروا به عن هموم نفســـه توافقت مع هموم مجتمعه ومن بين هذه الأماكن **الكوخ** استعمل الشعراء هذه اللفظة و من بينهم سعدي

[1]-خرفي محمد صالح : جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق ، ص 112

[2] - مرتضى حسين علي حسن : جماليات المكان في الشعر العراقي، الحديث رسالة الماجستير عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا جامعة فيلادلفيا سنة 2016، ص 63

يوسف للدلالة على البساطة التي كـــــان يعيشها المواطن الريفي ،وكـــذلك يتمثل من خلالـــــه تجسيد حالـــة من الصراع الإنساني في علاقاته الاجتماعية المختلفة ، فتندمج ذات الشاعر وتتوحد مع الذات الجماعيـــــة لتعكس الواقـــع ،وهذا ما نراه في قصيدة **عبـــور الوادي الكبير** :[1]

هَـــاهِـــيَ أَكْـــوَاخُنَـــا

سعْفَة نَسْتَظِلُ بِهَا أَو وقُودُ لِبعَضَائِنَا

كُلُهَا تَهْبِطُ الأَرضَ ،كُوخًا فَكُوخاً وَتَلقِي بِهَا الأَرضُ لِلمَاءِ .

ويتخذ الكوخ أبعاد نفســية واجتماعية، وهي عدم الاســتقرار وحالة العتمة المكان بعد غياب الشمس، فتتحول صورة المكان من الألفة إلى الخوف.[2]

من هنا كانت عملية النص تستلزم إبراز الدلالات النفسية، والاجتماعية التي أثرت فيه. لتتم عملية المقاربة وفق آليات فنية وشعورية تؤدي إلى الفرادة والتميز، وهذا ما نادى به **أدونيس** الذي أصر على أنه:

(لا تصـح قراءة العمل الشـعري بما هو خارج عنه ولا بمجرد نصـيته المحضـة، فقراءتـه بعنـاصـــر من خـارجـه إلغـاء لـه، وقراءة بـذاتـه وحـده إلغـاء لتـاريخيـة أو لإجتماعيتـه ، فليس العمل الشعري مجرد إنعكاس نفسي ذاتي، كما أنه ليس مجرد

[1] - مرتضى حسين علي حسن : جماليات المكان في الشعر العراقي، المرجع السابق ص 65.
[2] - المرجع نفسه ، ص 66.

انعكاس واقعـــــي اجتماعي إنه قبل كل شيء مركب ابداعـــــي يصدر عن مركب إنساني)[1]

لذلك قد ترتبط مشـاعر الإنسـان ووجدانياته مع بعض الأماكن بعلاقات إيجابية، فيكون التشكل الفني مخالفا لتلك الأماكن التي يكون مجرد ذكرها له مؤشرا مؤلما في حياته

فالشاعر يملك رؤية خاصة للمكان الذي كتب عنه ،وبالتالي قد تتعدد تلك الرؤى بمعنى اندماج الشاعر في هذا المكان أو ذاك.

وعليه ان المتلقي يلعب دورا كبيرا في شـعرية النص الادبي وفق نفسـيته واجتماعيته الشـــخصـــية ،وبالتالي يأخذ النص الأدبي منحى آخر عندما تتم مقاربة هذا العمل من المتلقي، وكأن النص أصبح في مثلث هيرمونيطيقي يقع بين المبدع والوسط الذي ظهر فيه والدلالات التي تتبع كل واحد على حده، إذ تتم مقاربته وفق شفرات نفسية واجتماعية خاصة.

وبناء على جدلية تلك العلاقة بين الشاعر وبين المكان، فإنه قد يصـالح أماكن وقد يناصـــب العداء في مواقف أخرى لأماكن أخرى، ناهيك عن ما يشـــحن المكان من عواطف ،و انفعالات تصاحب تلك العلاقة.

ومما يتصل بهذا الجانب أن المكـــان قد يكـــون واقعا جميلا ، وقد يكـــون سجنا مقيتا :(الإحساس بالمكان إحساس له أصالته ،فهو هوية تاريخية ووطنية و نفسية)[2]

[1] - خرفي محمد صالح ، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 113

[2]- يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني ترجمة سيزارقاسم، المرجع السابق ، ص 65

ولذلك إن الواقـــــع الأيديولوجي للمبدع ومحيطه المكون من الموروثات الثقافيـــة والتراكمات البيئية تفرض سيطرتها وبقوة على هوية العمل الأدبي نتيجة الضغط النفسي، فكلما مارست تلك الضغوط سطوتها كلما كان العطاء أكثر تفردا وتميزا، هذا العطاء

يترك آثارا نفســية واضــحة غير مرئية في موجودات المكان، بمعنى أن الموجودات المكان المادية تصبح مع مرور الوقت و كأنها مرتكزات أساسية في الإبــداع الفني، فالشــارع و السجن ،و الجبل ،و المقهى كلها أماكن تحمل واقعا اجتماعيا أسهم بشكل أو بآخر في ترك بصمات في مخيلة الأديب ، الأمر الذي أدى إلى تكوين هالة من التراكمات النفسية لدى الأديب تجاه ذلك المكان أو ذاك . يتمظهر البعد النفسي جليـــا في أمــاكـــن ،

فالمسـجد مثلا الذي يرتبط بالدّلالة الدينية غذاء الرحابة النفسـية الروحية ، و قد يأخذ المسـجد شـكل الرمز بدلالته المكثفة عبر الإيماء إليه بوصـفه مصـدرا للأمن و الطمأنينة أما المكان الآخر الذي يرتبط بأبعاد نفسـية ، فالصـحراء في اتسـاعها و احتوائها على المتناقضات و الثنائيـــات من أمن ،و خوف، و أمـــــل، و يأس وغموض ووضوح ، حيـــاة و موت ، فالصحراء بوحشتها قد تومئ على فضاء نفسي يميل إلى الحـــزن و الوحـــــدة ولذلك وجدت أن الشاعـــر العربي القديم كان يميل إلى أنسة المكان :حتى يزيل معالم تلك الوحشة النفسية يضاف إلى ذلك البحر.

الذي يحمل شفرات نفسية عالية مثل الإيحاء بالرهبة ،و الضياع ،و الإقـــــــدام ،و الإحجام و غيرها من الأماكن التي لاتعد و لا تحصى [1].

[1] - يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ترجمة سيزارقاسم، المرجع السابق ،ص66.

وفي ضوء ما سبق مازال المكـــان بيئة خفية يتموضع فيه مدركـــات المبدع الحسية والمعنويـــة لتمظهرات الحياة على الأرض، ومن ثم تشكـــل مركبـات إبداعيـة ذات نسيج متفـــرد في إبداعه.

ب/ البعد السيـــــاسي الوطنـي:

المكان كان و مازال يلعب دورا أساسيا وهاما في حياة الشاعر وفي تكوين هوية الكيان الجماعي ، وفي التعبير عن المقومات الثقافية ،و قد أثرت العوامل البيئية على المفاهيم الأخلاقية و الجمالية التي تحرك الشعوب في جميع أرجاء العالم .

و يصبح المكـــان إشكاليـة إنسانية إذا ما أغتصب، أو إذا حرمت منه الجماعـة و لذا فإنه يكسب قيمة خاصة و دلالة مأساوية بالنسبة للمستعمرين و اللاجئين .[1]

مع مرور العصـــور وتغير الأزمان وتنوع الثقافات برزت أمكنة أخرى بديلة ،فكان شـــعر **الأوطان** والحنين بعد الانتقال من حياة الترحال و البداوة إلى حياة الاســـتقرار، فأصبح الوطن هو محور النص الشعري الّذي شكل منعطفا أساسيا في متخيل الشعراء ويؤسس له وفق رؤيته الفكرية و السياسية ، وبالرجوع إلى القديم لم يكن المكان(الوطن) متمظهرا بوضوح، إلا أن المتتبع لدلالات الوطن في الشعر العربي يرى أن تلك الدلالات المتعددة منها بيت الطفولة ، الحنين، الأم، الدار ، المنزل ،البلد، الأرض ..الخ، وهذا التعدد ناتج عن اختلاف التوجهات الفكرية والرؤى السياسية للشعراء.[2]

فالوطن فكرة غائبة، لا يوقضـــه ســـوى الشـــعراء بالتحنان ،و الغناء و عند تذكر طفولته يتوجع بتذكر ماضـــيه و معالمه ، فلا عجب أن نجد وطن الشـــاعر لا حدود له

[1] - المرجع السابق ص 5

[2]-خرفي محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق ،ص 130

يرسم تضاريسه بلغته الشفافة و يعانق فيه روح الحياة إلى آفاق رحبة في علاقة محبة ،وهذا التداخل و الحميمية الموجودة بين الشاعر و الوطن ناتج عن معرفة أكبر بالمكان و معاناة حقيقية ، وخوف من فقده ، فالشاعر كاليتيم بدون وطن .[1]

وبالتالي فإن هذه النصـــوص تتنوع بتنوع توجيهات أدباءها الإيديولوجية و أي انتاج للنص الشعري ما هو إلا نتيجة معاشة وواقعية، وقد يكون للشاعر أكثر من وطن وذلك تبعا لسجله الإيديولوجي، ويرسم تضاريسه بلغته الشفافة ويعانق فيه روح الحياة.

إن تعدد الأوطان يأخذنا إلى إعادة صورة العربي القديم ،ولكن برؤية ومظهر جديدين وكأننا نعيد صـــياغة الأزمان ولكن وفق أيديولوجيات يتماشـــى فيها المبدع، لتفرز لنا نصوصا مدلجة برؤى أصحابها.

تجدر الإشـــارة هنا أن الأوطان لا تتنوع بحســـب، بل هي على مســـتويات بدءا من وطنه الصغير الذي نشأ فيه، انتهاء بالوطن الكبير الذي يختزن وطنه الأصلي هذا التنوع

الكمي و النوعي، أفرز تنوعا نفســيا اتجاه الوطن مســبوغا بتنوع، أيديولوجي يتمظهر في تشكل نصوص مختلفة التوجيهات السياسية.

وقد يشير البعد الوطني و السياسي لحالة من الضياع و اليتم، والتيه خاصة إذا كان الأديب من أولئك الذين عاشــوا تجربة المنفى الداخلي و الخارجي معا لدرجة تصــل إلى التوحد مع الوطن في المخيلة والذاكرة، حتى يغدو الشـــاعر هو الوطن، و الوطن هو الشاعر[2] .

[1] - خرفي محمد صالح : جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ،المرجع السابق، ص 131
[2]- المرجع نفسه، ص152

يقول ابن الرومي في أحد قصائده عن الوطــن:

وَلـــي وَطَنٌ آلَيتُ أَلاَ أَبِيعَـــهُ

وَلاَ أَرَى غَيرِي لَه الدَّهْرَ مَالِكًـا

عَهِدْتُ بِهِ شَرحَ الشَبَابِ وَنِعْمَة

كَنِعْمَةِ قَومٍ أَصْبَحُو فِي ظِلَالِكَـا

وَ حِبَبُ أَوْطَانِؤ الرِجَالِ إِلَيهِـــمُ

مَآرِبٍ قَضَاهَا الشَّبَابُ هَالِكَـــا

ذَكَرْتُ بِلاَدِي فإشتعَلتْ مَدامِي

بِشَوقِي إِلَى عَهْدِ الصِبَا المُتَقَادِمِ

حَنِنْتُ إِلَى ارْضٍ بِهاَ أَخْضَرَ شَارِبِي[1]

الملاحظ أن جميع الشعراء يشتركون في البعد الوطني والسياسي إلا أنه يبدو متفاوتا بحســـب حجم المعاناة وأثرها على الأديب، وبالتالي انعكاس أثره على الحجم الإبداعي المقدم غذ تراوحت الأعمال من القصائـــــــد القصيرة إلى مطولات شعرية، ومما تجدر

[1] -عمر الشطاوي :شعر عن حب الوطن على الموقع الالكتروني : https// mawdo3.com/

الإشارة إليـــه أن البعد الوطني و السياسي قد يتجلى في النهوض مع أحداث الأمة من هزائم و انتصارات و رفض للاستعمار [1]

ج.– البعـــد التاريخـــي :

إن العودة إلى التاريخ ليس المقصـــود منها إعادة كتابته بأحداثه ووقائعه الحرفية فهذا ليس عمل الشاعر ، و إنما إعادة قراءة هذا التاريخ و الواقـــع وفق رؤيـــة وموقف الشاعـــــر ، فهو بحـاجة إليه و هذه الحاجة تزداد كلما زادت أزمة الهويـــة لدى المجتمع وزيادة الإحســاس بفقدان و ضـياع الوطن ، و الغربة في أراضـيهم ، فيتزايد جهدهم في بناء متخيلة باللغة أو تصوير أوطان في مخيلتهم و في أحلامهم بحركة شعرية بالرغم من ان الشاعر يدرك انه من المستحيل العودة للماضي ، فهو يسافر للماضي عبر المكان ليجعله مكونا شعريا ، فكل مكان له حمولته التاريخية ، وذاكرته الجماعية مرتبطة بفكـر و عقيدة الأمة و بالتاريخ العام للإنسانية فكم من أماكـــن انهدمت و اندثرت و لم يلتفت إليها أحد لأنها لا تمثل ذاكرة الأمة .[2]

فالشـاعر مثلا أمام الطلل يتذكر الماضـي ، فيصـبح هذا الماضـي حاضـرا فيتوالى الحضور و الغياب، فهو يقرأ تاريخه الشخصي و تاريخ قبيلته التي ينتمي إليها ليرسم صورة ما للمكـــــان الحاضر و المخفي ،و القـــارئ يدرك هذا الإرتبـاط الوثيق بين الشاعر ووطنـه و التاريخ و السبب الذي جعله يكتب هذا [3].

[1]- خرفي محمد صالح، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 139

[2] -المرجع نفسه، ص 151.

[3] - المرجع نفسه ص 152.

فالمكان عبارة عن هوية تاريخية. فيتشـــكل الإحســـاس بالرغبة في عودته و الحفاظ عليه، فيتكلم الشاعر و المكان بصوت واحد ليتوحد في صورة فنية مؤثرة [1].

وفي الأخير نســـتطيع أن نقول أن المكان كان في دم الشـــاعر، و في حياته، و في شعره، وتاريخه الماضي و الحاضر، و قد تأسست رؤيته على خلفيات متعددة حسب السياق النصي، و النص هو الركيزة الأساسية التي أنبنى عليها.

المبحث الثانـــــــــي: دلالات المكـــان:

يشـكل المكان الرحم الذي يتشـكل فيه العمل الأدبي، ليتحول هذا التشـكل وفق علاقات ديناميكية متسارعة بين كل من المبدع والنص، والمتلقي الى ثراء شعوري ووجداني مترامي الأطراف الفنيـة والأدبيـة، فـالتمظهر الفني والأدبي يحمـل في ثنـايـاه الكثير من الدلالات التي ترتبط بصـورة أو بأخرى بالمكان الى درجة التماهي في موجوداته، فمجرد ذكر اسـم المكان فإن ذلك يسـتدعي في ذهن المتلقي المخزون الثقافي المترسـخ لديه فيما يحمله هذا المكان من دلالة تاريخية أو نفسية أو واقية أو دينية.[2]

وسـنتطرق في هذا المبحث الى مفهوم الدلالة و تصـنيفاتها المختلفة: الدلالة الدينية وكذا الدلالة التاريخية.

[1] - المرجع السابق ص .156

[2] قاسم سيزا : بناء الرواية الفنية ، المرجع السابق ، ص 58

1- مفهوم الدلالـــــــة:

-الدلالة في **القرآن الكريم** و**السنة النبوية**:

*** في القران الكريم:**

أورد القرآن الكريم صيغة دّل بمشتقاتها في ثمانية مواضع، تشترك في ابراز مفهوم الصيغة، وتعني لغة : الإرشاد إلى الشيء للإشارة إليه، و الإبانة عنـــــــه، أو الذات ويترتب على ذلك وجود طرفين: طرف دّال، وطرف مدلول عليه [1]، ونذكر تلك المواضع فيما يلي : وردت في قصة موسى عليه السلام في **قوله تعالى**:

((وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِـعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)).[2].

وفي **قوله تعالى** حكاية عن النبيّ سليمان : **((فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَـأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ))**[3].

فالدابة و أكلها العصا دال، و هيئة سليمان وهو ميت مدلول ، أي أن الدابة قد أرشـــدت الآخرين إلى موت ســـليمان ،فأظهرت ما كان خافيا ، وبذلك أعلمت الآخرين ما لم يعلموه من قبل ، حتى صار موت سليمان واضحا بينا .

[1] - د . العربي يوسف : الدلالة و علم الدلالة ، المفهوم ، المجال و الأنواع ، د.ط 2016ص13
[2] - القرآن الكريم : سورة القصص الآية 11 .
[3] - القرآن الكريم: سورة سبأ الآية 14

–وقوله تعالى ((يَا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُكُمْ عَلىَ تِجَارَةٍ تُنَجيِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليَمٍ)).[1]

و تشترك الآيتان –كباقي المواضع – في تعيين الأصل اللّغوي للفظ (دل)، فهو في القرآن يعني الإعلام ،و الإرشاد، و الإشارة ،و الرمز.

- أما في السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه **قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((أَوَلاَ أدلكُم عَلَى أَمْرٍ إذَا فَعلتمُوهُ تحَابَبتمْ؟ أفشُو السَلامَ بينكُمْ)).**
- فلا يختلف معنى كلمة أدلكم في الحديث المذكور، فالرسول (ص) هو الدّال عليه وما قام به من عمل هو الدلالة، و إفشاء السلام هو المدلول عليه[2] .

الدلالة في اللغة العربية:

الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي .

فالدلالة لغة: من دله عليه و إليه دَلالة ودِلالة ، ودُلولة ، و الفتح أعلى ، ويقال دلني على الطريق : أي اهتديت إليه ، و الدلالة هي الإرشاد .[3]

و يحصـــر ابن منظور : المعنى الحقيقي للجذر في دلالة الإرشـــاد أو العلم بالطريق الذي يدل الناس و يهديهم ، بقولـــه : و الدليل ما يستدل به ، و الدليـــل الـدال و قد دله على الطريق يدله دلالة .

---

[1] - القرآن الكريم :سورة الصف الآية 10

[2]- د. سامح عبد السلام محمد : مفهوم الدلالة :

http/www.alkah.net./ 2014

[3] - د. صلاح الدين صالح حسين : علم الدلالة و اللسانيات مقالة":

https//www.alukah.net 2008

و الدلالة بهذا المعنى لا تختص بالغة فقط، بل هي عامة في كل ما يوصـل إلى المدلول ومتى دل الشـيء على معنى ، فقد اخبر عنه و إن كان صـامتا ، و أشـار غليه و إن كان ساكنا، و ينبغي هنا التفرقة بين الدلالة و المعنى ، فالدلالة هي مجموع المعاني اللغوية التي يتضـمنها اللفظ ، وهي وسيلة الوصول على المعنى ، فبها يومأ إلى مفهوم اللفظ ، لذا تعد الدلالة أوسع من المعنى و أشمل .[1]

الدلالة في الاصطلاح:

غالبا ما تتوافر العلاقة بين المدلولين اللغوي و الاصـــطلاحي، إذ ترتكز الثانية على الأولى و تستمد منها مقوماتها، لأن الوضع اللّغوي الذي تصالح عليه أهل اللغة قديما، يلقي بظلاله و معناه الدلالي على المعنى العلمي ، فالمصـطلح يتشـكل مع نمو الاهتمام في أبواب العلم و بالاحتكاك الثقافي .

فالدلالة إذا تقوم على العلاقة بين الدال و المدلول من جهة، و بينهما و بين المتلقي من جهة أخرى ، فعلمه بالدال يستدعي انتقال ذهنه لإدراك المدلول.[2]

و بالتالي يعد المكان علامة تحمل زخما كبيرا من الدلالات الثقافية، و المعرفية و بما أن العلامة تتميز بعدة ميزات منها المرونة، فهذا يحيلنا الى اختلاف المدلول الذي تشـير إليه تلك العلامـــــة، و بالتالي فإن تلك المرونة قد تنتقل الى دلالا ت المكان التي تتغير من زمان الى اخر حسب الأشخـــاص و البيئات التي يحيون فيها، بـل حسب الموروثـــات

[1] - هدى عيسى : علم الدلالة في اللغة العربية

http //mawdoo3 .com/2020

[2] - العربي يوسف الدلالة و علم الدلالة المرجع السابق

والتراكمات الثقافية في هذا المجتمع أو ذاك، كما تجدر الإشارة إلى أن هذا التغير المرن في الدلالة يلزم كل كاتب بخصوصية تختلف عن الاخر وفق تلك الدلالات التي تشكل فيها عملة الفني.

إن المكـــان بما يحتويـــه " يمتلئ بمئات بل بألاف الأشياء ويزخر بها العالم الخارجـي و تمثل قوة هائلة من العناصر يتفاعل معها الانسان[1].

فيبدو و كأنه يتجه الى مختلف الأماكـــــــــن دون صعوبة ويتحرك نحو أزمنة أخـــرى وعلـــى مختلف مستويـات الحلـم و الذاكرة [2].

و في ضوء ما سبق يتضح أن دلالات المكـــان مطاطيـــــة في ارتباطها بالنص، و القراءة و المقاربة الفنيـة هي كفيلة بالكشف عن هذه الدلالة أو تلك، اذ لا تتوقف تلك الدلالات عند حدود بعينها، بل تمتد للإفصاح عن مكنونات شعوريـــة و عقلية تسابق خيال المبدع نفسه.

أ-الدلالـــــــة الدينية:

تعتبر الدلالة الدينية من أهم الدلالات التي ترتبط بالمكان، ولاســـيما وأن الدّين يشـكل مرتكزا أسـاسـيا في ثقافات الشـعوب ، فالقدس مثلا تمثل خلفية مهمة لدى الشـعراء لما تحمله من دلالة دينية وهي قد تحولت إلى رمز ديني ،فهي لن تنسـى مادام الشعراء يستدعونها في نصوصهم الشعرية و يجددونها خوفا من النسيان ،ونجد اغلب الشـعراء لا يلتفتون إلى أماكنهم المقدسـة إلاعند الفقد ،و الغياب ،و البعد [3]، فانفتاح

[1] - قاسم سيزا: بناء الرواية الفنية، المرجع السابق ،ص59

[2] - باشلار غا ستون:_جماليات المكان ترجمة غالب هالسا ،المرجع السابق، ص 72

[3]- خرفي محمد صالح : جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر المرجع السابق ض156

المكان على المقدس ـــــ يتجه الى البحث في علاقة التجربة الشـعرية بالنص المقدس ، باعتباره أساسا دينيا استلهم علاقة المكان بأحد المكونات الثقافية الأساسية .[1]

يحيلنا ما سبق الى ارتباط المقدس بالعلاقة الروحية التي يضفيها الشاعر على أمكنته مستلهما بذلك كـــــافة النصوص الأدبيـة الدينية التي تمظهرت في أكثـر من شكـل و أكثرها شـــيوعا في الكتب الســـماوية الثلاث : التوراة ،و الانجيل، و القرآن، و في الوقت نفسه يستفيد مما ورد فيها من قصص تجعله ينشد الفردوس المفقود الذي يحاول استذكاره عبر تلك النماذج أو استحضارها مثل قصة يوسف عليه السلام ، التي تحاكي ما جرى له من تخلي الإخوة عن بعضـــهم و غيرها من القصـــص الحياتية التي تجد لها مدلولا في القصـص الديني ، فقد اتجهت الرؤى الشـعرية نحو النص أو الرمز الديني في مسـتواها الدلالي نحو تأملات في عالم بديل أو كون شـعري يتجاوز الواقع و يحاول ان يؤسس فردوسه[2] .

واستعمل القران الكريم هذا النعت المكاني أصحاب اليمين ، أصحاب الشمال، للدلالة على أهل الجنة ، و أهل النار . كما إستعمل غيره من النعوت المكانية لتجسـيد صـور الإيمان و الكفر .

يتضح مما سبق أن الرمز الديني يساهم في تشكيل الرؤى الشعرية التي تتجاوز الواقع الى المتخيل تحاول أن تسعى للتأسيس الجديد المبني على عملية هيرمو نيطيقية نستشرف فيها روح التفرد والتميز.

[1] - مجناح جمال: دلالات المكان في الشـعر الفلسـطيني المعاصـر، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث جامعة الحاج لخصر باتنة 2008 ص 402

[2] - مجناح جمال : دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص 169

إن بناء المكان في النص الأدبي على هذه التصورات من استحضار للقيم الدينية، والروحانية والرموز على اختلاف أنواعها تساهم في توطيد علاقة الإنسان بمكانه عبر تفاعل الذات مع موجوداتها المادية و المعنوية معا[1].

ب –الدلالـــــة التاريخيـــــة:

يتمثل تفرد الأديب بعمله الفني عبر إعادة قراءة الماضي وتاريخـــه وفق رؤية الواقع الحالي ، والتي تنسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة " فيكون هذا التداخل بين اللغوي و التاريخي للإضافة نصية جديدة و حقيقية "[2].

إن الإضافة النصية الجديدة هي التي تتجاوز الحاضر ،و الماضي لترسم ملامح المستقبل، عندما تبرز مفارقة حقيقة بين الماضي ن و الحاضر، و المستقبل لتؤسس لرؤى شعرية تملك تفردا و تميزا جديدا لا ينفصل عن تاريخه بل هو يؤسس لمرحلة تاريخية جديدة ، فنصبح كأننا أمام زمنين تاريخيين:

- زمن تاريخي يمثـــــل تجـــــــارب البشريـــــة على خط الزمن الطبيعي.
- زمن تاريخي يتجسد عبر المقابل الخارجي لعالم متخيل تصنعه مخيلة الروائي.[3]

و بناءا على ما سبق تأخذ التجارب البشرية مسارين مختلفين، مسار يتعلق فيما كان و مسار يتعلق فيما سيكون، ولكن الخيرة تستند الى الماضي ولكن في صورة جديدة و كأن المبدع يستقي عمله من تاريخ مضى ليسترشد عبره على فترة قادمـــــة ترتسم ملامحها في مخيلته، و تكتمل الصورة في مخيلة الملتقي ، ومما يدخل في الدلالـــــة

[1] - حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي المعاصر قراءة موضوعاتية جمالية ، المرجع السابق ،ص13
[2] - خرفي صالح :جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر مرجع السابق_، ص169
[3] - باشلار غاستون : جماليات المكان ترجمة غالب هالسا ، مرجع سابق_، ص177

التاريخية ، رصد الأديب في نصه لبعض من المعـــالم و الأحداث التي تشكل بصمة في ارتباطه بهذا المكان أو ذاك ، مثل أسماء بعض المدن ،أو المعارك، أو الاحداث العظام .

و ليس معنى هذا أن الشاعـر يقحم التاريخ في المكان أو المكـان في التاريخ قسريا دون مبرر فني أو مسوغ موضوعي، بل ان كل مكان يحمل تاريخا [1].

وفي هذه القضـية يشـير إدوارد سـعيد إلى اسـتثارة الماضـي و توظيفه في تأويلات الحاضر باعتباره حالات ليست مشابهة تماما للحاضر و انما هو موروث يسهم يشكل ما ، في فهم إشكاليـــة الحاضر ويجد أن التجـــــارب التاريخية مثلت الهاما للتأملات الشعريـــة في المكـــان و ذلك لأجل إعادة تشكيل العلاقة بالمكان ، علاقة تقوم على التأسيس و ليس النمطية ، ومن ثم تتحـول كافة الموروثات التاريخية الى باعث ، تستمد منه الذات قوة الانتماء ، ويتحول صوت المبدع الى كشّـاف للملتقي لإعادة تقييم الأنا وفق كافة المعطيات و المستويات المطروحة.[2]

[1] - زايد عبد الصمد، المكان في الرواية العربية *الصورة و الدلالة دار محمد للنشر تونس 2003 ص 133
[2] - خرفي صالح : جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ، المرجع السابق ص 171

الفصـــل الثالث:
آليـــــات توظيف المكان
في شعر ابن خفاجة

الفصل الثالث: آليـــات توظيف المكان في شعر ابن خفاجة.

الجمال هو مطلب إنساني نبيل في نفس كل إنسان يحيا على هذه الأرض ،فهو يشمل كل الموجودات بأحيائها و جماداتها ، فهو حاجة غريزية فطرية يتسم بها الإنسان لا تحتاج إلى تعليم .

المبحث الأول : جماليـــات المكـــان الطبيعي :

أ-مفهوم الجماليـــة في الأدب:

جاء في لسان العرب لابن منظور: الجمال مصدر الجميل، و الفعل جمل والجمال هو الحسن و البهاء [1].

وقد وردت في القرآن الكريم قوله: ((**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأتِينِي بِهِم جَمِيعًا إِنَهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيم**)).[2]

لكن مصـطلح الإسـتيقا لم يأخذ مكانه في حقل الدراسـات إلا مع **باومجارتن** 1714-1762 الذي أفرد في كتاب خاص و تبعه بعد ذلـك هيغل و شيلر و انجلز و ماركس ، فعلم الجمال علم قديم حديث ،ارتبط بالمباحث الفلسـفية في أول الامر ثم استقل كعلم في بداية النهضة الأوربية ، فمسيرته بدأت مع أفلاطون و أرسطو ، ولاتزال مستمرة حتى اليـوم و ذلك لإبراز الحسن من الرديء، و الجميـل من القبيح في المواضيع

[1] - ابن منظور: لسان العرب ، المرجع السابق ، ص93
[2] - القرأن الكريم : سورة يوسف الآية 83

و النصوص عن طريق التلقي و الفهم و الاستيعاب، ثم انتقل استعمالـــــــه إلى سائر الثقافات والعلوم الإنسانية كـالأدب والفن.[1]

فالجمالية إذن علم يبحث في معنى الجمال منه إنبثقت كل الجماليات التي تعنى بالفنون جميعا، فوجد الجمال في الشـعر ،و الجمال في النثر، الذين أفرزا هذا الإرث من الأجناس و الأنواع الأدبية المتنوعة من مقامات إلى الزجل إلى فنون أدبية لعبت بالكلمة و الخيال أيما لعب [2].

فا الجمال بصـفة خاصـة والفن بصـفة عامة ،ما هما إلا طرائق من طرق التعبير عن حالة وعي الإنسان بقيمة الأشياء التي تحيط به، عبر تجارب إنسانية وروحيـــة و مادية معا، تهدف على تشـكل الموجودات بطريقة انزياحيه كاملة في الحياة، و الجمالية تختلف من شـــخص على آخر ومن أديب إلى أخيه تبعا لتشـــكل لألياته في الحياة الثقافية و المعطيات البيئية.

إن لتشكل الجماليـــــات الأدبية بؤرة أساسيـــة في التفاعل النصي بين الأديب و المتلقـــي. لذا من شروط النص الأدبي أيا كان لكي يجد مكانا ووقعا في النفوس القراء و المستمعين أن يتوفر على القيم الشعرية و الجمالية[3] .

والجمال نوعين جمال مادي محسوس ملموس في ماديات الحياة ومحسوساتها، وجمال معنوي روحي لا يتم إدراكه إلا بالراحة النفسية وهذا ما يهمنا.

[1] - خرفي محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 04
[2] - فايز ، جماليات الأسلوب ،ط2 ،دار الفكر سوريا 1996 ص 9
[3] - خرفي صالح، جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص 79

إن أبرز تساؤل يصادفه قارئ النص الأدبي في طريقه هو: ما هو السر الذي يحمله هذا النص الأدبي؟ وما الذي يجعله ينطبع في الذاكرة الفـــردية والجماعية لفترة زمانية ما بالرغم من تغير الظروف والأحداث؟ وما الذي يجعله ينجذب إلى هذا النص دون ذاك، ويفضله علـى غيره؟

و الكثير من الأسئلة الأخرى التي تتعلق بماهيـــة النص، و عناصره **الجماليـة** التي تميزه عن غيره من النصوص الأدبيـــة الأخـــرى، وإن أختلف في التفسير فإننا نتفق في أن لجماليـــات النص الأدبي الظاهرة و المستترة أكبر الآثر في تـحديد الارتبـــاط به، و بقوته و بدرجة الانجذاب إليه و انطباعه في الذاكرة، و التأثير على القلب و النفس.

فالقارئ بحاجة إلى جرعة جمالية، و يتوق للإحســـاس الجمالي، وذلك للحصـــول على لـذة النص، وليس من وســـيلة إلا التطلع إلى الملامح الجمالية التي تنطوي عليها النصوص الأدبية أو الأشكال الفنية الأخرى، لأن الجمال يتجسد، أو بالأحـــــــــرى يكـــــــون في أعمال قد لا تبـــدو فنية (الملابس ، السيارات ، الفيلم التليفزيوني أو السينمائي ..) ، و الإنسان يحس بقيمتها وتأثيرها عليه لما فيها من ملامح جمالية ظاهرة و مستترة ، ذاتية و موضوعية.

والجمال يكون في الأشكال الأدبية و الأشكال الفنية المختلفة، كما يكون أيضا في الطبيعة البحر، السماء، الجبل، الحديقة ..[1]

والجمالية نسبية تتغير تبعا لتغير الظروف، والأجيـــال ،والإبداعات ومقياس الحكم على الجمالية هو إحساس الناس بها.

[1] - خرفي محمد صالح : جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر ، المرجع السابق ،،ص 80

-جماليات المكان الطبيعي في شعر ابن خفاجة:

لم يقتصر اهتمام الشعراء للمكان بمعناه الطبيعي فقط، بل توسع اهتمامهم ليرتبط بأحاسيسهم وتجاربهم الخاصة من خلال ربطه بالأحداث و الذكريات، فهو يتفاعل معها ليضيف إليها مباهج جديدة لم تكن فيها من قبل، وهذا ما أشار إليه أرسطو في حديثه عن محاكاة الفنان للطبيعة، فهو في واقع الأمر لا ينسـخها، و إنما يعمل على تشـكيلها من جديد تنبع من تجربته و معاناته.

وترتبط جماليات المكان الطبيعي عند الشـــاعر ابن خفاجة بالحياة الريفية وكل ما تحتويه من مناظر طبيعية، فهذه الأمكنة التي كان يصـورها الشـاعر ترسـخت في ذاكرته فكانت بلدته التي نشأ فيها البداية الألى.[1]

التي عبر عنها تعبيرا يفيض حبورا ،و لقد كان لنشـأته المترفة و لجمال بلدته أثر في تغذية خياله و تكوين تأملاته،.فمدينة شقر مسقط رأس الشاعر عرفت بجمالها وكثرة خيراتها فنظر إلى الطبيعة نظرة طويلـــة فاحصة ساعدته علـــى دقة التعبير عن معانيه و ألهمته قدرة تصويرية جمالية اندمج فيها احساسه و شعوره.

لقد مزج الشـــاعر بين الواقع والمتخيل ليعطي لنا صـــورة فنية جمالية، تقوم على اسـترجاع المواقف وتخيلها وهذه المواقف تنشـأ من خبرة المدرك السـابقة، وهذه الأمكنة يظل يتذكرها حتى إن اختفت من حاضره، فهي تظل حقيقة جميلة عاشها وأحبها.

ويتخذ الشـــاعر ابن خفاجة من جماليات المكان الطبيعي رمزا للتعبير عن حالة الاغتراب النفســـي، فالمكان الطبيعي يتولد لديه من خلال توظيف جمال الطبيعة وما

- [1]- مرتضى حسين علي حسن : جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث، المرجع السابق ، ص 75

يرتبط بها بشـــكل وثيق لأنها تحول رؤية الشـــاعر من الخارج إلى الداخل وهي تشـــاركه حياته، أحزانه، خوفه، و همومه[1] ، ومن بين قصائـــده و أشهرهـــا التي تغنى بهـــا قصيـدة **الجبل** .

الصـــور ة الشعريـة عند ابن خفاجة:

الصورة الشعرية فعالية لغوية، تخرج أنظمة اللغة من بعدها الإشاري إلى بعد مجازي تصـــويري، و رمزي بمعنى أنها علاقة لغوية متولدة تتمتع بخصـــوصـــياتها من الســـياق و الموضوع داخل النص المعالج ، فهي لذلك بتعبير بشلار" **تعبر عني بتحويلي انا إلى ما تعبر عنه** "[2]

لقد عني ابن خفاجـــة في شعره بالصورة ، واتخذ منها وسيلة مهمة في عمله الفني لما التمسه فيها من فعالية و قدرة على التأثير ،فهي وسيلته في تصوير طبيعته التي يهيم بها قلبه ،كما أنها وسيلته في الإفصاح عن مشاعره ،و الإ عراب عن معانيه و تصوراته ومن هنا كـان تركيزه على الصورة ، حلالها تلك المكانة في شعـره ،و الصـــورة الخفاجية قد تكون مركبة ، بمعنى أنها قد تكون مشهدا يشتط على عد ة عناصر ،وقد تكون صورة مفردة ،وجميعها يدل على براعـــــة الشاعر و دقته في التصوير إنك تحس ،و أنت تقرأ للشاعـــــر ، ،كأن طبيعة شقر بجمـــالها و حيويتها و أصواتها قد نقلت إليك ، فأنت تشاهدها المشهد تلو المشهد ، و الصورة تلو الصورة ،تسمع الأصوات ،و تشم الروائح العطرة و تحس بإحساس الشاعر من خلال ذلك كله ،فتنفمل له و تشاركه الإحساس بالشعور فرحا و حزنا ،وهو قد جرك إلى ذلك ببراعته في الوصف و قدرته على التصوير

[1] - المرجع السابق ص 76
[2] - يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني ترجمة سيزا قاسم ، المرجع السابق ، ص 35

يستدعيها تنوع المناظر و جمال العرض ، فمن مشهد الصبح وهو يكشف بضيائه فتتلألأ قطرات الندى على الزهر فتزداد جمالا ، وتبتل الأشجار إلى مشهد الماء الصافي المترقرق و الطائر الشادي وهي مشاهد متعدد [1] .

ولكن نلحظ أن الشاعر لم يعرض علينا مشاهده جامد، وإنما عرضها علينا في صور حية متلاحقة، متلونة بمشاعر الإنسان وأحاسيسه.

ذلك أن الصورة تشكيل للعناصر المنظورة والمحسوسة في إطار محدد، وفق رؤية خاصة و مسافة مدروسة لغاية تعبيرية تتجاوز الأسلبة على فضاء المعنى.

إن الصورة وهي تقوم على التشكيل، تخضع أولا لهندسة مبينة خدمة لمقصد بعيد، فهي من هذه الناحية عمل واع بهدفه ذلك هو التعريف الذي قدمه سانتيانا .

ومن شأن الوعي في الحركـــــة التصويرية ان يضيق من منافذ الخيال أولا ، حتى يسمح للصورة أولا بترتيب عناصرها ترتيبا واعيا بالأولويـــــات و الأسبقيات ، ثم يفتح منافذ الخيال ليسبغ الصورة بصبغتها الخاصة .[2]

[1] - بومدين كروم : الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي دمشق ،سوريا ط1، ص 131
[2] - حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية ، المرجع السابق ، ص 57

المبحث الثاني: قصيـــــــدة الجبـــل أنموذج:

لقد أدرك الشـاعر العربي منذ العهود البادئة أنه لا يسـتطيع ان يبرح المكان ،و أن المكـان يحتويه في حياته و مماته ،فهو جزء منه لا يختلف عنه في شـــيء، بل يحمل من سـابقيه الذين رحلوا بقية يقف عليها في كل طلل يخاطبها و تخاطبه ، و ليس عجيبا ان يكون الطلل ممثلا لتجربة البراح ،و الحنين، و الندم ومهما يكن من تفسير نسوقه للطلل وظاهرته الإفتتاحية في الشـــعر الجاهلي ، فإنه يبقى مكانا واقعيا جغرافيا تعرفه الذاكرة التاريخية في أخبارها و أيامها ،وقد انشعبت التفسيرات الوجودية و النفسية لتعليل ذلك التشبث عند الشعراء ،ولو كان في تداولهم له ما يشبه التقليد البعيد الذي يتناسخون فيه التجربة في مقابل تجاربهم الخاصـــة ،كما يزعم النقد الحديث و ان أبدعوا في مواطن وصفية أخرى كالأنهار ،و الصحراء ،و الرمال و غيرها ...الخ

إن أروع تجربة لموضـوعة **الجبل** في الشـعر العربي، قصـيدة شـهد لها الدارسـون أنها أفضل قصائد ابن خفاجة و أشهرها و المميزة ، اذ نجدها عنده بدون ذكر اسم الجبل و إنما يصـفه **بالأرعن** أي الجبل الطويل ، و يتجاوز الشـاعر الوصـف الحسـي و المادي ببيتان ،و كان وصف الأرعن يكفي لبيان المراد الذي قصده الشاعر إلى الوصف المعنوي التي نفذ إليه التجربة الوجدانية بعمق ،حتى ينقلب الوصـف المادي إلى تشـخيص يمكن الشاعر من المحاورة .[1]

[1] - حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية، المرجع السابق ، ص 64

نــص القصــيدة:

بِعَيْشكَ هَلْ تَدْرِي أَهْـوَجَ الجَنـَائبِ تَخُبُ بِرَّحْلـي أَمْ ظُهُـــورُ النَّجـَائِبِ

فمَا لُحْتُ فِي أولـَى المشَارقِ كَوكبًا فَأشرقَتُ حتَى جِئتُ أخرى المغـَارِبِ

وحيـــدًا تهاديني الفَيافـــي فَاجتلِى وُجُوهُ المنَايَا في قِنَاعِ الغَيـــــَاهبِ

ولا جـَارَ إلا من حُســـــامٍ مُصممٍ ولا دارَ إلا في قُتـُودِ الركـــَــــائِبِ

ولا أُنسَ إلا ان أضاحِـــكَ سَاعـَـةً ثُغُورَ الأَمَانِي في وُجُـــــوهِ المطالبِ

وليلٍ إِذا ما قلتُ قـَد بـَاد فانقضَى تَكشفُ عَنْ وعدٍ مِنَ الظّـَنِ كـــَاذبِ

سَحبتُ الدّيَاجِي فيه ســُـــودَ ذَوائبٍ لأعتنقَ الآمـــَـــالَ بِيضَ تـــَـــــرائبِ

فمزقتُ جيبَ اللَّيلِ عن شَخصِ أطلَسَ تطلُعَ وَضَاحَ المَضَاحـكِ قَـاطـــبِ

رَأيتُ به قطعًا مِن الفَجـْـــــرِ أغبشًا تأمـــــل عَن نَجمٍ توقـــــــدَ ثَاقبٍ

وَأرعنَ طَمـــَـــاحَ الذُؤَابَةِ بـــَـــاذِخُ يُطـــــاولُ أعنـــانَ السَّمَاءِ بغـَـارِبِ

يَسُد مَهَبَ الرّيـــحِ عَن كـُـل وِجهَـةٍ ويَزحـَمُ لَيلاً شَهْبـــــهُ بالمَنَاكـــــبِ

وَقُورُ عَلى ظَهرِ الفُـلاةِ كـــَأَنـــَهُ طَـــوالَ اللَّيَالِي مُفَكـِرٌ فِي العَواقـبِ [1]

يُلَوِثُ عَلَيـــــهِ الغَيمُ سُودُ غمَائـــِمِ بِهـــَا مِن وَمِيضٍ البـــرَقِ حُمْرُ ذَوائِبِ

[1] -مجدي عبد المعروف حسين أحمد: القيم الأخلاقية والجمالية في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة تحليلية وصفية المرجع السابق، ص207.

أصختُ إليـــهِ وَهُو أَخْرَسٌ صَامِتٌ فَحَدثَني لَيْـلُ السرى بالعَجَائـــــبِ

وَقَــالَ: أَلا كَمْ كُنتُ مَلْجـَأَ قَاتـِلٍ وَمَوْطِنَ أَوَاهُ تَبتـــــلُ تَائـــــــبِ

وَكَم مـــَــرَّ بِي مِن مُدْلـجٍ وَمَؤُوبٍ وَقــَالَ بظــلِي مِن مطــيٍ وَرَاكِـــــب

وَلَاطم مِن نَكبِ الرِيَاحِ معَاطِفِي وزَاحِم مِن خضر البحـــَار غَوَاربـــِي

فَمَا كَانَ إلا أَن طَوتهمْ يدُ الـرَدَى وطَارَتْ بِهم رِيحُ النَـــوَى والنَوائــبِ

فَمَا خَفَق أيْكي غَير رَجْفَةِ أضْلَعٍ وَلاَ نــوحُ ورقي غيَر صَرخةُ نـــَادِبِ

وَمَا غَيضُ السلْـوَانِ دَمْعِي وإِنَّمَا نَزَفَتُ دُمُوعِي في فِرَاق الصَوَاحِــبِ

فَحَتىَّ مَتـَى أَبْقَى وَيَظعَن صَاحِبُ أَودَعُ مِنه رَاحـلاً غَيرَ آيـــــــــبِ[1]

وَحَتَّى مَتَى ارعَى الكَواكب سَاهراً فمن طَالــعٍ أخرى اللَّيَالِي وَغَــارِبِ

فَرُحْمَاكَ يا مَولاَي دَعـْوَةُ ضَارعٍ يَمُدُ إلى نُعماكَ رَاحـَةُ رَاغـــــــبِ

فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظَة كُـــلِ عِبـْرَة يتُرْجِمُهَا عَنــْه لِسَان التـَجـــَارُبِ

فَسَلَى بِمَا أَبْكَى وَسَرَى بِماَ شَجَا وَكَانَ عَلَى عَهْدِ السرَى خَيْرُ صَاحِـب

وَقلْتُ وَقَدْ نَكَبَتُ عَنْهُ لطـيـــَةٍ سَـــــلاَمُ فإناَ مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِـــبِ [2]

[1]- المرجع السابق، ص208.

[2] - راشد عيسى و نضال الشمالي: خطاب الموت في شعر ابن خفاجة المرجع السابق ص04

شرح الأبيـــات:

البيت الأول: أرعن = مرتفع، باذخ = عال ، طماح ذؤابة = شديد علو القمة ، الغارب = الكاهل .

البيت الثاني: المنكب = الموضع المرتفع من الأرض.

البيت الثالث: وقور = من الوقار وهو الرزانة، الفلاة = الصحراء الواسعة.

البيت الرابع: يلوث = يلف، يوجد طباق بين سود عمائم وحمر ذوائب.

البيت الخامس: أصخت = استمعت، السرى = السير ليلا.

البيت السادس: تبتل = انقطع للعبادة.

البيت السابع: مدلج = من يسير في الظلام، مؤوب = من الإياب وهو الجوع.

البيت الثامن: طوتهم = أخفتهم و المراد اماتتهم، الردى = الموت، النوى = الفراق.

البيت التاسع: يوجد طباق بين أبقى ويضغن، يضغن = يرحل.

البيت العاشر: يوجد طبا ق بين طالع وغارب، أرعى الكواكب = اساهرها واراعيها [1]

[1] - آلاء حرار: ابن خفاجة يصف الجبل ، 2013 /https//mawdoo3.com

حظيت قصيدة الجبل لابن خفاجة في الثلاثين عاما الأخيرة بمجموعة من الدراسات الأدبية التي اجتهدت في تحليل دلالتها وبيان جماليتها الأسلوبية، فأقدم الدراسات خلال هذه المدة كانت **بعنوان الاخرس الناطق، وقفة عند جبل ابن خفاجة.**[1]

بعد ذلك بعام ظهرت دراسة بعنوان وصف الجبل لإبن خفاجة الأندلسي دراسة تحليلية ، فسرت فيه إحدى الباحثات بيتا ، وكانت تشير في ثنايا تفسير ها إلى مظاهر الإستعبار من الجبل ، و إلى الحزن و فقدان الأحبة ،و الشعور بالخسارة عند ابن خفاجة، .و أوردت الباحثة تقويما عاما للقصيدة ذكرت فيه ملامح فنية شكلانية كقولها القصيدة من البحر الطويل ، و استخدم الشاعر قافية الباء المكسورة أو استخدام الصورة البيانية ..الخ.

و عقب ثلاثة أعوام ظهرت دراسة خفيفة بعنوان ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأندلسية مقالة تناول فيها الكاتب جوانب فنية من أسلوب ابن خفاجة .

و أورد **صلاح جرار** في كتابه قراءات في الشعر الأندلسي دراسة بعنوان وصف الجبل لابن خفاجة تناول فيها بصورة موسعة **البناء الفني** في القصيدة، كما تعرض الباحث لمسألة **الخوف** من مصير **الموت** لابن خفاجة بإشارات خفيفة **كقوله** : بدأ يشعر بالغربة و الوحدة و الخوف و الموت .

[1] - راشد عيسى و نضال الشمالي، خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الأندلسي، قصيدة الجبل أنموذجا ، .ص 05

و في عام 1997ظهرت دراسة **عبد الرحمن خانجي** بعنوان **فلسفة الحياة في شعر ابن خفاجة الأندلســي**، وصـــف الجبل ، قراءة جديدة في نص قديم تناول فيها ظاهرة **القلق من الزمان** .[1]

اشتركت الدراسات السابقة في مجموعة من القضايا ، كشعر الطبيعة عند ابن خفاجة ، وشعوره **بالعزلة** ، و **الغربة** و التلميح **بخوف** ابن خفاجة من الموت .

ومن هنا سعى البحث إلى تحليل قصيدة الجبل برؤى تناقش موضوع القصيدة ،و هو الموت بصفته موضوعا لم يلتفت إليه الدارسون السابقون بعمق يظهر صراع الأنا و الواقع ومفهوم التعويض و القلق من وجهة علم النفس وهو ما تزعم الدراسة تفردها به .

كما يهدف إلى تبيان أثر التشكيل الفني و لاسيما الصورة الشعرية في اكتساب القصيدة ميزة الفرادة في شعر ابن خفاجة عامة ، فقد تعرض شعره لأحكام نقدية يمكن أن توصف بالجائرة .[2]

ذلك أنها لم تنتبه إلى الدلالة الرمزية الكلية في القصيدة وهي القلق من الموت ، ولم تعر بالًا جادا لمستويات الخيال الشعري فيها على نحو ما سنرى في موضع قادم من البحث .

لا ينفي هذا البحث محاكاة ابن خفاجة في هذه القصيدة لشعراء العصر العباسي كأبي تمام ، ولا سيما في موضوعة اللغة وتراكيبها و جزالتها ، لا كنه يجتهد في إثبات أن قصيدة الجبل هي قصيد صور شعرية ناجحة عمادها التشخيص الرمزي ، و أنسنة

[1]- المرجع السابق ، ص 06

[2] - راشد عيسى و نضال الشمالي، خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الأندلسي، قصيدة الجبل أنموذجا ، المرجع السابق ص7

الجماد ، وقصـيدة معاني غير مألوفة في الشـعر الأندلسـي ، وقد تمظهرت باتخاذ الجبل قناعا موازيا لذات الشاعر القوية الصامدة أمام تحولات الزمن ،و الإحساس بعبثة الدنيا الفانية ، وهي أيضا قصيدة قلق وجداني تجاه [1].

حكم الوجود و أمام حتمية الفناء، إنها في منحى آخر من مناحي تأويل خطاب شعري – يجيب عن سؤال الموت برثاء الأنا الذات الجبل.

ومن هنا تتأتى أهمية هذه القصيدة إذا عرفنا أن ابن خفاجة أقدم في جرأة على هذا الضـرب الجديد مع مزج الطبيعة بالرثاء، وأنه في ذلك مثل ابن زيدون خرج عن المألوف من عادة الشعراء في استثمار الطبيعة مصدرا جماليا للتصوير والتأمل إلى جعلها وسيلة يبثها شجونه و أحزانه على نحو ما أكده الشكعة في موضع من البحث.

لقد اقترب الشـكعة من هذه السـمة النادرة في شـعر ابن خفاجة، لكنه لم يحلل القصيدة ليكتشف فلسفة الموت فيها ويقف على أثر الخيال الشعري في كشف قناع القلق من الفناء و الضجر من الحياة.

وإذا كان البحث يتكئ جزئيا على المنهج التاريخي عند تتبع الموضـوع الشـعري في شعر ابن خفاجة، فإنه يستند بشكل رئيس إلى المنهج النفسي التحليلي و التأويلي مفيدا من معطيـــات علم النفس الحديث ومن الفلسفة أحيانـــا وذلك في مجـال الانـا والقلق، والتعويض، والموت. [2]

[1] - حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية ، المرجع السابق ص 78
[2] - راشد عيسى و نضال الشمالي : خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، قصيدة الجبل أنموذجا ، المرجع السابق ص 08

و السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموضع، ما سر اقبال ابن خفاجة على وصف الطبيعة رغم سـيطرة الموت على جل تفكيره؟ فهل فتنته الطبيعة بجمالها؟ فهو ممن افتتنوا بها و بحمالها و بهائها و لاكن الأمر لا يتوقف عند ذلك ، فحس ابن خفاجة الانتقائي نزهه عن الشعراء ، فاختار مذهب الطبيعة مستغنيا بذلك عن التكسب بالشعر ، ومن جهة أخرى ، فإن " إقبال ابن خفاجة نحو الطبيعة نابع من رؤيته لها في إطار الفناء".

فالطبيعة في ذهن الشـاعر بمثابة مفردات للبقاء الخالد، فشـعر بأهليتها و إسـتحقائها للوصف بدلا من وصف مخلوق مرده إلى الزوال .[1]

لقد اقتحمت الطبيعة في الأندلس ميدانا من ميادين الشـعر و يبدو للمرء الارتباط بينهما ، ونعني به ميدان القول في الشـكوى و التحسـر ، فالطبيعة بسـمة ، و متعة ،و أمل و إشـراق ، و الشـكوى حسـرة و يأس و كآبة و حزن ، ولكن الشـاعر الأندلسي الموهوب استطاع ان يجمع بين الضدين و من هؤلاء الشعراء ابن خفاجة الذي خرج على المألوف من عادة الشعراء في استثمار الطبيعة مصدرا جماليا للتصوير و التأمل ،إلى جعلها وسيلة يبثها شجونه ،و احزانه ،و حسراته .[2]

شرح القصيـــدة:

تنهض قصيدة الجبل بخطاب حائر يوجهه الشاعر إلى ذاته الحائرة، فالشاعر مرتحل في أصقاع الأرض، قاصدا الطبيعة للتسلية عن همه، و البحث فيها عن مؤنس إثر تمزيق جيوب الليل، وتمزيق ظلمة الليل صورة فنية تظهر إصرار الشاعر على تبين ملامح أنيس

[1] - عبد الرحمن جبير: الطبيعة في شعر ابن خفاجة الاندلسي، بيروت ط2، 1981، ص 166
[2] - ديوان ابن خفاجة لا بن خفاجة، المرجع سبق ذكره، ص 126

يشـاركه وحدته الطاغية ، و الشـاعر في إبراز هذه الوحدة يكثر من اسـتخدام أسـلوب الحصر في تحديد من يسليه :

لاَ جَارَ إلا مِن حُسَامٍ مُصَمِمٍ وَ لا دَار إلا فـــي قُتودِ الركائب.

ولَا انس إلا أَنْ أضَاحِكَ سَاعةَ ثُغوَرِ الأَمَانيِ في وُجوهِ المَطَالَبِ [1] .

لقد استقر بحث ابن خفاجة على صورة الجبل، فأسبغ عليه منظومة من الصفات المتتابعة التي تكشـف مدى اهتمام الشـاعر بهذا الأنيس الجديد، فأنطقه وبعث فيه قيمة إنسـانية بالرغم من خرسه و صمته ، و أضفى عليه صفات بشرية [2].

فأثار كوامن شـجنه و أوغل به في أفاق الخيال ، فتخيله شـخصـا إياه رجلا وقورا يقتعد الصـحراء منعزلا عن الناس مفكرا فيما ألم به من خطوب ،و محن نضـر إليه من زاوية الحزن ، و أضـاف إليه صـفة لا تناسـب إلا حالة الشـاعر، و هي التفكير في نهاية العمر ، فالجبل بات مطرقا طوال الليل في العواقب ، و الحقيقة أن الشـــاعر هو المطرق المفكر ، فالجبل قد عاصر أجيال متتابعة ، فاجتمع لديه الفاتك و الناسك ، و المدلج و المؤوب ،و الرياح ،و البحار ، و الشـــموس، و الأقمار ، و الكواكب [3] ،وهذا الرجل الذي تخيله الشاعر يلبس عمامة سوداء من الغيم، ذيلها البرق بذؤابة حمراء وقد أصغى الشاعر إليه وتخيله متحدثا معه في الليل على الرغم من صمته العميق ،فإذا بلسان يقول إنه كان ملجا للقتلة ،و المنقطعين إلى العبادة على حد ســواء، و إن ظله الضــليل كان

[1] - راشـد عيسـى و نضـال الشـمالي: خطاب الموت في شـعر ابن خفاجة الأندلسـي، قصـيدة الجبل أنموذجا، المرجع السابق، ص 10

[2] - ديوان ابن خفاجة لابن خفاجة ، المرجع السابق ، ص 127

[3] نضال عيسى و نضال الشمالي، خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الأندلسي، قصيدة الجبل أنموذجا، المرجع السابق ص 13

مكانا للاستراحة لمن يسير في جوف الليل و في وقت القيلولة ، وكل هؤلاء مضوا إلى حتفهم .

فَحَتَى مَتَــى أَبْقَى وَيَظْعَـن صَاحِبِ أَودَع مِنـْهُ راحِــلا غَيــــْرَ آيبِ [1]

وبقي هو، فإذا بالأعشاش التي ترفرف فيها العصافير في قمته تبدو و كأنها خفقات قلبه الحزين والجمائم التي تنوح ليس إلا نادبات يندبن من ارتحل من رواد هذا الجبل، وقد بدأ بدون دمع في مآقيه، وقد نزف دموعه كلها على هؤلاء الذين استظلوا به، و فارقوه

وهو يتساءل إلى متى يبقى في هذه الصحراء يودع الذاهبين الذين لا ترجى عودتهم، لم يتوقف الشعراء الذين تعرضوا للجبـــل عند ظواهره و تضاريسه و تفاصيله ، فليس فيه ما يفيد النظر أو يملك الحواس أو يستفز الناظر إليه لكنهم أعجبوا بعظمته ،و شموخه و كبريائه و صموده أمام الدهر و تقلباته، فكان بذلك رمزا للخلود و القوة في مجال المدح و عظمة و استعبارا في آفاق التأمل و التفكير .

فابن خفاجة حينما يقف أمام الجبل في إحدى رحلاتـــه يحس بإجلال و خشوع و كأنه امام شيخ وقور خبر الأيام عمرا و تجربة ، و عاصر الدهور حلوها ومرها فمل المقام و سئم البقاء ، وكان لسان حاله ينطق بالكثير و يهمس بالعجيب و هذا أسلوب يمعن فيه ابن خفاجة بالتشـــخيص و خلع سمات إنســـانية على الطبيعة التي يمثلها هذا الجبل شاكيا فيثير بشكـــواه ،و بكـائه الحزن و الشجو في نفس الشاعـر ، وهما يبعثان

[1] - مجدي عبد المعروف حسين احمد : القيم الأخلاقية والجمالية في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة تحليلية وصفية، المرجع السابق ص 210

على الراحـــــة و الاطمئنان و السلوى ، و حين نتأمل النص نلمس فيه نظرة الشاعر [1] نجاة الحياة ،و احساسه بثقل الوجود بعد ذهاب إخوانه و خلانه.

فهذه القصيدة يمكن الاستـــدلال من جوها العام على أنها قيلت في سن متقدمة لما فيها من نظرات تأمليـــة حزينة تتم عن تجربة عميقة في الحياة ، و استخلاص للحـكـم و العبر، و خاصـــــة و أن الشاعر قد عمر طويلا فقد تجاوز الثمانين ،فالسأم و الصيق بالحياة يتأصـــلان في أعماقه و ليس في الجبل ، التبرم و الملل منها ومن طولها موقف للشاعر و ليس موقفا للجبـل .

فابن خفاجة أسقط مشاعـره ،و أحاسيسه ،و نظراته على الجبل ،فرأى فيه صورة أخرى له وهو بذلك يعبر بوضـــوح عن رغبته في الرحيل عن حياة ليس فيها بقاء او ثبات ، ويخفف عن نفسه جزع الموت و رهبته.

وقد كان تأثر ابن خفاجـــــــة بغيره من الشعراء واضح في قصيدته حين ذكر جبل التوباد حيت قيل ان مجنون ليلى مر بهذا الجبل فأجهش بالبكاء ، حيث قال:

وَأَجْهَشْتُ للتُوبَادِ حِين رَأَيْـتُهُ وكَبّـــرَ للرَحمَـــــــانِ حِين رَأنِي

وَأَذرَيتُ دَمْعَ العيَنِ لمَا عَرفَتَـــهُ وَنَادَى بأَعْلَـــى صَوْتهِ فَدعَانيِ[2]

[1] - مجدي عبد المعروف حسين أحمد: القيم الأخلاقية والجمالية في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة تحليلية وصفية المرجع السابق ، ص 208 .

[2] - د. محمد عويد الساير : أبحاث و دراسات في الشعر الاندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت د.ط ، 2013 ص 42.

لقد حاول الشاعر أن يقدم لنا صورة فنية جميلة، فحاكى الشـــعراء الذين سـبقوه ولم يعمد إلى الابتكار ،وصـور الشـعر نجدها مرتكزة على التشـخيص بالدرجة الأولى ، و التشخيص هو بث الحياة في الأشياء التي تفتقر على الحياة (وجوه المنايا ، و يزحم ليلا شـــهبه بالمناكب ، وحدثني ليل الســـرى ، عيون الكواكب) مما دفع ابن خلدون إلى نقده حين رأى ان الفاظ الشـــعر يجب ان تكون مطابقة لمعانيه ن و أن كثرة المعاني تمثل حشـدان وتشـغل الذهن بالغموض إليها .[1]

ومن النقاد المحدثين الذين اندفعـوا خلف رأي ابن خلدون العقاد الذي يرى أن شعر ابن خفاجة كلآلئ الرخيصة، وشوقي ضيف الذي كـــــــــان حريصا على التقليل من شـــــــان التعبير لـدى ابن خفاجة، ويـرى أن شعره يميل إلى الكثرة في الإبـداع، فهو يقارنه دوما بشعراء شرقيين لهم السبق على غيرهم أمثال (أبي تمام ، و ابن الرومي) .[2]

[1] - راشد عيسى و نضال الشمالي: خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الاندلسي ، قصيدة الجبل أنموذجا ، المرجع سابق ص 14

[2] - راشد عيسى و نضال الشمالي : خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الاندلسي ، قصيدة الجبل أنموذجا ، المرجع السابق، ص 15

القيم الجمالية والفنية للقصيدة:

- قدم الشـــاعر في هذه الأبيات لوحة فنية طبيعية متكاملة اردفها بتحليل ذي طابع تأملي فلسفي، فقابل اللوحـــة برؤية فكريـــة نفسية.
- تعبر هذه الأبيات عن غرض أصيل من أغراض الشعر الأندلسي هو وصف الطبيعة بتنوعها.
- عنصر التشخيص هو الأبرز في هذه اللوحة، فقد مثل الجبل شيخـــا وقورا وصفـــه وصفا داخليا و خارجيـــا .[1]

[1] - مجدي عبد المعروف حسين احمد، القيم الأخلاقية والجمالية في شعر ابن خفاجة الاندلسي دراسة تحليلية وصفية المرجع السابق، ص 209

خاتمة

خاتمـــة:

من خلال بحثي هذا دلالـــــة الأبعاد الجماليـــة للمكـــان في شعر ابن خفاجة توصلت إلى أن :

- تمتع الأندلس بطبيعة ســـاحرة واحتوائها على مناظر خلابة، مما دفع بالشـــعراء إلى وصفها والتغني بها.
- ان ابن خفاجة يمثل نهضة شعر الطبيعة في الاندلس، وقد استطاع أن يصور طبيعتها الجميلة والحياة الهادئة فيها.
- احتل المكان أهمية واضحة في شعر ابن خفاجة اذ اتخذها من محيطه المكاني استقاها من الطبيعة التي كان لها الأثر الواضح في شعره.
- عرف ابن خفاجة انه شاعر مجدد ومقلد في أن واحد، فقد تتلمذ على أصول الشعر العربي فتشـــرب مذاهبهم وأضـــاف عليها ملامح اندلســـية بحتة دمجت بين المشـــرق والأندلس، وهو من أبرز الشعراء الوصافين بتذوقه لمظاهر الطبيعة من حوله و ترجمة احاسيسه بطريقة بارعة.
- تعددت مفاهيم المكان وهو مشتق من فعل الكينونة ومرتبط بالإنسان ارتباطا وثيقا.
- ونشـــوء علاقة حميمية بينهما من خلال تأثير المكان في الإنســـان بذكرياته وأحداثه الجغرافية.
- تنوعت الأبعاد والدلالات للمكان في الشـــعر، فقد مثل البعد الاجتماعي للمكان في التعبير عن مشـــكلات اجتماعية، اما البعد الســـياســـي تمثل في الحنين إلى الوطن الغربة .... الخ .، كما حملت بعض الأماكن دلالات تاريخية و دينية .

خاتمـــــة:

- ارتبطت جماليات المكان الطبيعي عند الشاعر كل ما تشمل عليه من مناظر طبيعية مزج الشـــاعر من خلالها بين الواقع والمتخيل وخاصـــة عندما يقوم الشـــاعر على استذكار المواقف وتخيلها، و قد ذكر في قصائده عدة أماكن طبيعية.
- قصيدة الجبل من أشهر قصائده والتي عبر من خلالها عن حالته النفسية، والقلق الذي كان يرافقه وهو الخوف من الموت.
- كان ابن خفاجة في قصـــائده برعا في المقابلة بين الجمل والعبارات وما يترتب على ذلك من المحسنات البديعية، والصورة الفنية خاصة التشبيه.
- استغل الشـاعر ثقافته في اختيار الفاظه ومعانيه فجاءت عربية فصـيحة بعيدة عن الغرابة والتعقيد، مع حرصـــه الشـــديد على اختيار الالفاظ الموســـيقية لذلك فقد جاءت معانيه واضحة متسلسلة ومنسجمة.
- عاطفة ابن خفاجة كانت شـــاملة ســـريعة الانفعال، والتأثر بالطبيعة، فقد جاءت عاطفة قوية وإنسانية.

قائمة المصادر
والمراجـــــع

قائمة المصادر و المراجع :

أ)القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ب) الكـــتب:

1. ابن أحمد عصـام الدين: ابن خفاجة الأندلسـي شـاعر وناثر في وصـف الطبيعة جامعة العلوم الإسلامية الماليزية ط1، 2011.
2. ابن منظور: لسان العرب دار الكتب العلمية ج2، بيروت لبنان ،ط1، 1997
3. احسان عباس: فن الشعر ، دار الشروق عمان ط1 1996
4. البحراوي حسـن: بنية الشـكل الروائي ، الفضـاء ، الزمن ، الشـخصـية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط1 ، 1990.
5. الجرجاني علي ابن محمد : كتاب التعريفات ، مكتبة لبنان دط، بيروت 1985.
6. الجولق علي: الصورة الفنية في الشعر الأندلسي د-ط ص09
7. السيد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ،دار الكتب العلمية بيروت د. ط.
8. الساير محمد عويد: أبحاث و دراسات في الشعر الاندلسي ، دار الكتب العلمية بيروت د.ط ، 2013
9. العربي يوسف : الدلالة وعلم الدلالة، المفهوم ، المجال و الأنواع د .ط2016
10. باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، الأردن ط1، 2008.
11. بحراوي حسن ، بنية الشكل الروائي ، الفضاء ، الزمن ، بيروت ط1، 1990.

12. بدوي عبد الرحمان :موسوعة الفلسفة المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط1 ج2
13. بومدين كروم : الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلسيين سوريا ،ط1.
14. جبير عبد الرحمان، الطبيعة في شعر ابن خفاجة الأندلس بيروت ط2، 1981
15. حداد علي: جماليات المكان عبر ذاكرة الطفولة قراءة في الانبهار و الدهشة ،اليمن ط1-2009.
16. حسين مجيد العبيدي:نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ،دار شؤون الثقافة العامةط1بغدادا العراق 1987.
17. -غربي زهر العنابي فاطمة الزهراء : الانسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة و الرمانسيين الفرنسيين ، دراسة مقارنة ، دمشق دار الكتاب 2002.
18. غاستون باشلار :جماليات المكان ترجمة غالب هلسا بيروت ،لبنان ط2-1984،ص6.
19. دلال حسين عنبتاوي: المكان بين الرؤيا و التشكيل في شعر إبراهيم نصر الله د،ط عمان ،2016.
20. زايد عبد الصمد: المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة، تونس د.ط، 2003
21. علي بن سلطان محمد القاري: مرقاة الفاتيح شرح مشكاة، دار الفكرسنة2002
22. فايز :جماليات الأسلوب دار الفكر سوريا ط2-1996،ص09.
23. قاسم سيزا: بناء الرواية الفنية بيروت لبنان، ط2-1988، ص64
24. قادة عقاق: دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر ، دلالة في إشكالية التلقي الإجمالي للمكان ب ط ، 2001.

25. لوتمان يوري: مشكلة المكان الفني ترجمة سيزا قاسم، دار قرطبة، ط2، 1988

26. حنان محمد مونسي حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر أحمد عبد المعطي أنموذجا ، عالم الكتب الحديث ،ط2، 2005.

27. حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية دراسة د.ط . 2011

28. محمد العاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا ، دار المعارف القاهرة ط2 2002.

29. محمد عبيد صالح الهمذاني: المكان في الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة د-ط،2013، ص226.

30. محمد علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة و مباحثها، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية د ط.

31. نبوي أحمد: جماليات المكان عند ابن خفاجة الاندلسي مقالة ضمن مجلة فكر وابداع، السعودية، د-ط.

الدواوين:

32. ديوان ابن خفاجة: لابن خفاجة، بيروت لبنان ط1، 2006

ج) الرسائـــــل العلميـــة:

الأطروحـــــــــــات:

33. خرفي محمد صـالح: جماليات المكان في الشـعر الجزائري المعاصـر ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم و الأدب العربي ،جامعة منتوري قســـنطينة ، 2005-2006.

34. مجناح جمال : دلالات المكان في الشـعر الفلسـطيني المعاصـر ،بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه ،جامعة الحاج لخضر باتنة ،2008.

المذكـــرات:

35. مرتضي حسين علي حسن :جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث ، رسالة الماجستير عمادة البحث العلمي و الدراسات العلياجامعة فيلادلفيا 2016.

د) الدوريـــــــات:

المجلات:

36. الجـداري عمـارة: المكـان والبعـد النفســـي في الشـــعر العربي القـديم * المفضليات*نموذجا ، مجلة جسور المعرفة جامعة حسيبة بن بوعلي ، شلف 2015

37. حنان إسماعيل أحمد عمايرة: الأثر المشـرقي في شـعر ابن خفاجة الأندلسـي، مجلة جامعة دمشق العدد الأول +الثاني 2011.

38. راشد عيسى و نضال الشمالي : خطاب الموت في شعر ابن خفاجة الأندلسي، قصيدة الجبل أنموذجا، مجلة جامعة الأبحاث و العلوم الإنسانية الأردن سنة 2011.

39. شلاش غيداء أحمد سعدون : المكان و المصطلحات المقاربة له دراسة معلوماتية ، بغداد المجلد 2011.

40. مجدي عبد المعروف حسين احمد :القيم الأخلاقية و الجمالية في شعر ابن خفاجة الأندلسي دراسة تحليلية و صفية ،مجلد2009/11.

هـ) المواقع الالكترونية:

41. الشطاوي عمر : شعر عن حب الوطن على الموقع الالكتروني:

https//mawdoo3.com.

42. حرار ألاء: ابن خفاجة يصف الجبل:

https//mawdoo3.com/2013.

43. سامح عبد السلام محمد: مفهوم الدلالة مقالات :

https//www.alkah.net/2014

44. صلاح الدين صالح حسين: علم الدلالة واللسانيات مقالة:

http//www.alukah.net.2008

45. هدي عيسى : علم الدلالة في اللغة العربية :

http//mawdoo3.com/2020

فهرس المحتويـــــات

فهرس المحتويات:

اهداء ..... .

شكر وعرفان ..... .

مقـدمـــة: ..... أ

الفصل الأول :ماهية المكان وفلسفته:في الشعر الأندلسي 14

المبحث الأول : المكان بين المفهوم و الماهية 14

المبحث الثـــاني: المكـان فلسفيا 21

الفصـــل الثـــاني: تجليـــات المكان (البعد والدلالـــة): 28

المبحث الأول: أبعـــاد المكان: 28

أ–البعد النفسي والاجتماعي: 28

ب/ البعد السيـــاسي الوطني :..... 36

ج.– البعـد التاريخـي: 39

المبحث الثانـي:دلالات المكـــان.: 40

أ–الدلالـــة الدينية : 44

ب –الدلالـــة التاريخيـــة: 46

الفصل الثالث: آليـات توظيف المكان في شعر ابن خفاجة. 49

المبحث الأول : جماليات المكان الطبيعي : 49

المبحث الثاني : قصيـــدة الجبـل أنموذجا :..... 55

خاتمـــة: 69
قائمة المصادر و المراجع : 72
فهرس المحتويات : 78

الملخص:

شكل المكان حضورا قويا و فعالا لدى الإنســـان، و ارتبط به ارتباطا وثيقا ما جعله راسـخا في ذهنه مخلفا مجموعة من الذكريات، و المشـاعر سـواءا كانت سـعيدة أم تعيسـة بالإضــافة إلى ذلك، فقد كان بمثابة هاجس لدى بعض الشــعراء منهم الشــاعر ابن خفاجة الأندلســي الذي كان يلقب بالجنان أو صــنوبري الاندلس لكثرة افتتانه بالطبيعة الخلابة في بلدته شــقر ووصــفه لها، وقد تنوعت أبعاد و دلالات المكان في الشــعر للكشــف عن الحالات النفسية التي كانوا يمرون بها.

الكلمات المفتاحية: المكان، الدلالة، الابعاد، ابن خفاجة.

Résumé :

L'endroit formait une présence forte et efficace de l'homme c'était lié à sa mémoire et des sentiments heureux et malheureux

IBN KHAFAJAH a était affecté par l'endroit, il s'appelait Jinan ou pin Andalusia, en raison de sa grande fascination pour la nature pittoresque de sa ville natal de SHAQUAR.

Le lieu a des dimensions et des connotations s'exprimer l'Etat psychologique du poète.

Les mots clés : l'endroit – l'indication - la dimension- IBN KHAFAJAH**.**

SUMMARY :

The place formed a strong and effective presence human , It was linked to his memory and happy and unhappy feelings.

IBN KHAFAJAH, was effected by the place it was called jinan or andalusianpine ,because of his great fascination with nature in his hometown of SHAQAR.

The place has dimensions and connotations that express the psychological state of the poéte.

Key words : the place- indication- connotation- the dimention.